



الأوضاع الأمنية لحركة حجاج اليمن في عصر الدولة الرسولية

د. محمد بن منصور بن منصور حاوي(*)

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.. وبعد:

فقد أصبحت الدولة الرسولية دولة مستقلة في اليمن سنة ٦٢٨هـ/١٢٣٠م عندما تمكن نور الدين عمر بن علي بن رسول من احتواء القوى المناهضة له، وبسط نفوذه على معظم بلاد اليمن، والتلقب بالملك المنصور، واتخاذه مدينة "تعز" عاصمة للدولة الناشئة[١]. ويأتي تحديد التاريخ الحقيقي لقيام دولة بني رسول بعام ٦٢٨هـ/١٢٣٠م لأنه العام الذي أعلن فيه الملك المنصور عمر بن علي خلع طاعة الأيوبيين وقيام دولته[٢]. وبقيام الدولة الرسولية دخلت اليمن حقبة تاريخية جديدة استمر بنو رسول يتعاقبون الحكم فيها ما بين قوة وضعف، واتساع وانكماش، حتى بدأت تدخل في مرحلة الضعف الذي اتضحت معالمه منذ أوائل القرن التاسع وقيام الملك الناصر بن الملك الأشرف إسماعيل[٣]، وأخيراً تعاقب عليها مجموعة من الحكام الضعاف الذين كثرت بينهم النزاعات والصراعات الدامية مع استفحال أمر المماليك، وظهور الثورات الداخلية ضد الدولة الرسولية على امتداد حدود اليمن الداخلية حتى انتهى الأمر بسقوطها سنة ٨٥٨هـ/١٤٥٤م[٤] وقيام الدولة الطاهرية على أنقاضها[٥].

وتعد الدولة الرسولية أبرز دولة قامت في اليمن على الإطلاق لا من حيث النفوذ السياسي داخل اليمن وخارجه ، بل في النهضة الحضارية الشاملة التي شهدها اليمن في عصرها وازدهار الحياة العلمية ازدهاراً كبيراً؛ بل عُدَّ عصرهم لذلك هو المنطلق الحقيقي للنهضة العلمية في بلاد اليمن(٦). ناهيك عن انتعاش الحياة الاقتصادية بشكلها العام ما بين زراعة وصناعة وتجارة ساعد على ذلك خصوبة في الأراضي ، واتساع نطاق الدولة ليشمل السهل والبحر وما ترتب على ذلك من تنوع الواردات، والتبادل التجاري مع الدول والبلاد المجاورة، وهو ما جعل الدولة تعيش في أغلب أوقاتها وبخاصة في عهود القوة السياسية حالة من الرخاء والبذخ(٧).

وكغيرها من الحكومات الإسلامية فقد اهتمت بتسيير قوافل الحج إلى مكة المكرمة في أغلب فترات حكم سلاطينها، وبخاصة في عصور القوة. كما اعتنت بتوفير الأمن واحتياجات القوافل الرسمية التي كان يخرج على رأسها سلاطين بني رسول . ومع أن هذه القوافل لم تكن تخرج في كل سنة إلا أن ركب الحجاج لم يتوقف إلا في فترات متقطعة ولأسباب قاهرة كما ستأتي الإشارة إليه وعلى الرغم من بعض الجهود التي قام بها بعض سلاطين بني رسول لتذليل عقبات الطرق ، وتوفير الأمن وردع القبائل القاطنة على طرق الحج اليمني(٨). إلا أن ذلك لم يمنع من تعرض القوافل لعدد من المخاطر الأمنيّة والمصاعب المتنوعة على غرار ما كان يتعرض له حجاج العالم الإسلامي في تلك الفترة من التاريخ مما سنعرض جوانب منه في هذه الدراسة الخاصة باليمن إن شاء الله.

تمهيـد :

الأمن وحركة الحج :

جعل الله البيت الحرام مثابة للناس وأمناً حيث يقول جلّ شأنه : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً . . . . ﴾ «سورة البقرة : الآية ١٢٥».

وقد دعا نبيّ الله إبراهيم الخليل عليه السلام ربه جلّ وعزّ بأن يجعل مكة بلداً آمناً ، وأن يرزق أهله من الثمرات ، فيقول عزّ وجل على لسان نبيه إبراهيم : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ . . . ﴾ «سورة البقرة : الآية ١٢٦»، ويقول تعالى في آية أخرى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ ﴾ «سورة إبراهيم الآية ٣٥». والمتأمل في سياق الآيات سيجد أن إبراهيم عليه السلام بدأ في دعوته بطلب الأمن وقدّمه على ما عداه لبيان أن الأمن إذا توافر أمكن تذليل ما عداه، لأنه مناط الاستقرار والطمأنينة، فإذا عُدم توقفت أمور كثيرة متعلقة به. كما أن الملاحظ أن الأمن في الآية الأولى ذو مفهوم شامل يندرج تحته الأمن من الجرائم ، والأمن من العدوان على النفوس ، والأمن من الفوضى والاضطراب ، وكذلك الأمن من الجوع ، والأمن العقدي. وهو ما فسره دعاء إبراهيم عليه السلام عندما ربط في دعائه بين الأمن وبين أن يرزق أهل البيت الحرام من الثمرات وهو ما يسميه البعض بالأمن الغذائي والتمويني، والأمن العقدي[٩].

ولأهمية توفر عنصر الأمن للحجاج بخاصة وارتباطه به ارتباطاً وثيقاً وبناءً على النصوص الشرعية فقد اشترط العلماء توافر عنصر الأمن للحاج ليجب عليه عندها الخروج لأداء هذا الركن ، مثله في ذلك مثل توافر الزاد

والراحلة والنفقة ، يدلّ لهذا ما نقله الإمام الجويني من الإجماع على أن من غلب عليه الظن إذا ما خرج للحج تعرضه أو تعرّض من معه من طوائف المسلمين للغرر والخطر لم يجز له أن يغرّر بنفسه وبذويه، ومن يتصل به ويليه(١٠).

وذهب ابن الجوزي إلى أن من شروط أداء الحج العامة : "تخلية الطريق وهو أن لا يكون مانع يمنع مما يُخاف منه على النفس والمال"(١١).

ويجد ابن جبير مسوغاً في رحلته لمن يعتقد من فقهاء الأندلس إسقاط فريضة الحج عمّن يفتقد الأمن أثناء حجه، ويصوّب ما ذهبوا إليه استناداً لما شاهده ووقف عليه أثناء رحلته من انفلات أمني في المشاعر المقدسة، ولأنه ينزل بالحاج أذىً لا يرتضيه الله عز وجل لذلك فإن " راكب هذا السبيل راكب خطر ومعتسف غرر" كما يقول(١٢).

وقد وردت في السنة نصوص كثيرة تصبُّ كلها في تحريم مكة والمشاعر المقدسة كمنى ومزدلفة وما في حكمها ، وكذلك تحريم المدينة من جميع أشكال الظلم والعدوان على النفس والأموال والأعراض والممتلكات، بل حتى العدوان على أشجار وحيوانات المدينة المقدسة ، لارتباط هذه الأماكن بالحج والعمرة ، وأداء المناسك وشعائر الدين التي لا تتوقف على أهل هاتين المدينتين بل على كل من جاءها ودخلها في أي زمان ومكان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . لذلك ورد عنه ﷺ قوله : "إن مكة حرّمها الله ولم يحرمها الناس ، فلا يحلّ لامرئٍ يُؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً ، ولا يعضد بها شجرة"(١٣)، ومثلما حُرّمت مكة فقد حرّم رسول الله ﷺ المدينة حيث يقول : "من أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين"(١٤). ومع أن هذه النصوص وغيرها كافية لأصحاب

الضـمـائر الحـيـة من المسلمـين الصـادقين ، العـارفين بحـدود الله تعـالى المطبـقين للشـرع، إلا أنـه وعبـر التـاريخ الإسـلامي وجـدت فئـات قلّ عندها الوازع من الدين والخلق ، وهان عليـهـا شـرع الله، فـتـجـاهلت أوامـر الله ورسـوله ونواهيـه، وتنكبت طريق الحق القويم ، وأعـرضت عن تعـاليم الشـرع الحنيف، فأعماها الطمع والحـرص ، وحب السلطة والمال وغيرها . فارتكبت جـرائم كبيرة بحق الحجـاج والمعتـمرين الذين كانوا يفـدون إليـها من أقطار الدنيـا . لذلك نجـد أن مـا ارتكبـه هؤلاء بحق الحـجـاج عبـر عصـور التـاريخ الإسـلامي يُعدّ من أبرز المهـددات والأخطار التي عـانوا منهـا كثيراً ، ويعـجب البـاحث في هـذا الجـانب عندمـا يجـد أن اكثـر مـا تعـرّض له الحـاج عـمومـاً وحـاج اليـمن خصـوصـاً من أذى ، ونـهب وسلب واعتداء، وقـع لهم في مكة أو في دروبهـا، أو أثنـاء تنقلهم في المشـاعـر المقـدسـة، وأن من تـولّى كـبـر هذه الاعتـداءات هم أشـراف مكة وحكّامهـا وأتبـاعـهم ممّن كـان يُفـتـرض بهم أن يكونوا هـم حـمـاة الحـاج المدافـعيـه عن حـرمـاتهم ، المطبـقيـه لما أمـر الله به ورسـوله من حـفظ الأمـن وإقـامـة العـدل في هذه الأمـاكن المقـدسـة ، كـمـا سيتبين معنا لاحقاً .

ومن منطلق المفهوم الشامل للأمن - كما في الدراسـات المعاصرة- وأنه يشـتمل على جـوانب متعـددة منهـا الأمن على الحيـاة ، والأمـوال ، والأمن من غـوائل الجـوع والعطش ، واحـتـرام حق الحـيـاة وصـيـانة الدمـاء والأنسـاب والأعـراض، وحفظ الأموال والممتلكات .. إلخ[١٥].

فـإن هذه الدراسـة الموسـومة "بالأوضـاع الأمنية لحـركة حـجاج اليـمن في عـصـر الدولة الـرسـوليـة " سـتتناول بـاسـتـقـصـاء - وبنـاء علـى إفـادات المصـادر المخـتلفـة- كل مـا تعـرّض له حـجـاج اليـمن في هذه المدة التـاريخيـة من أخطار

وأهوال ومهددات لها علاقة بأمن الحجاج - بمفهومه السابق - سواء على الطرق، أو في مكة أو أثناء التنقل بين المشاعر أو بين مكة والمدينة . وغير ذلك مما له علاقة بالأوضاع الأمنية وسمحت به المعلومات المتوافرة في المصادر المتاحة. وبناءً على ذلك وحسب المنهجية المتبعة في مثل هذه الدراسات العلمية المحددة بأطر زمانية وحدود مكانية سنقسم الدراسة إلى عدد من المباحث والنقاط ونختمها بمجموعة من النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

حركة الحج من اليمن إلى مكة في عصر الدولة الرسولية :

يُقصد بحركة الحج ، مسير قوافل الحجاج وحركتهم من بلاد اليمن عبر الطرق البرّية والبحرية نحو مكة المكرمة، والمشاعر المقدسة في عصر الدولة الرسولية، لتأدية شعيرة وفريضة الحج التي دعا الله إليها عباده منذ أن أمر إبراهيم الخليل عليه السلام بالأذان في الناس بالحج كما قال تعالى: ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ «سورة الحج : الآية ٢٧» .

وحجاج اليمن كغيرهم من حجاج الأقطار الأخرى كانوا يخرجون في قوافل ومجموعات للحج ، ويسارعون بالانضمام إلى قافلة السلطان، وكلما كان السلطان الرسولي على رأس القافلة ، كان عدد الحجاج المصاحب له كثيراً . يدفعهم لذلك أمور منها: توافر الأمن والأدلاّء والفقهاء ، والعساكر المصاحبة للسلطان ، وهذا مشعرٌ بالطمأنينة للحجاج ، ولأن السلاطين كانوا يحرصون على اصطحاب الكثير من الطعام والشراب ، والمتاع والأموال للتوسعة على من معهم من الحجاج من جهة، ولتكون وسيلة للبرّ والصدقات في أثناء الطريق على كل من وجدوه، أو صادفوه حجاجاً كانوا

أو من أهل البلاد التي تمرّ عليها القافلة ضمن المحطات والمراكز على طريق الحاج ، ناهيك عمّا يُحمل إلى مكة والمشاعر المقدسة لصرفها في وجوه البرّ والإحسان للخاص والعام . وفي هذا دافع أيضاً لحرص الحجاج اليمنيين على الخروج صحبة السلطان لأنّهم سيُكْفَون مع هذه الصدقات والهبات عناء التفكير في هموم الزاد وما يتعلّق بها. وعندما حج الملك المظفر يوسف بن المنصور عمر بن علي بن رسول سنة ٦٤٩هـ أحسن إلى الناس كثيراً، كما بذل الصدقات والمعروف لكل أحد من الناس سواءً من صَحبه أو من كان بمكة(١٦).

وكانت حجته في سنة ٦٥٩هـ مشهورة جداً نظراً لكثرة من صاحبه من الحجاج من اليمن ، أو أثناء الطريق من أهل البلاد التي مَرّت عليها قافلته. فذكر المؤرخون أنه من كثرة ما كان يحمله من أموال وأزواد وأمتعة سافرت القافلة في البرّ والبحر، حيث كانت الأزواد والمؤن والعلوفات والأموال في المراكب ، وسار هو وقافلته في البرّ ، وكان يصعد في كل محطة يمرّ بها على الطريق إلى البحر لتفقد ما تحمله المراكب. وخلال ذلك تصدّق كثيراً في طريقه على من معه من الحجاج وغيرهم من أهل البلاد التي مَرّ بها حتى وصل مكة ، كما تكفل خلال الطريق منذ خروجه إلى وصوله مكة ، وأثناء عودته كذلك بإطعام الناس والتصدّق عليهم بل تجاوز برّه وصدقاته إلى كل من حضر الموسم في تلك السنة بما فيهم أهل مكة وفقراء الحرم بطبيعة الحال(١٧).

وقد تكررت هذه المكرمات من بعض سلاطين بني رسول ، ففي سنة ٧٤٢هـ وعندما خرج الملك المجاهد(١٨)، وأعلم الناس بخروجه للحج فتجهزوا وخرج بخروجه خلق كثير ، وقد اصطحب معه المراكب في البحر

تحمل الأزواد، والآلات ، والقماش ، والهدايا من الطيب والعنبر وغيره الشيء الكثير ، وهو في هذا يصنع كما صنع سلفه الملك المظفر حينما حج سنة ٦٥٩هـ. لكنه زاد على ذلك أنه لما بلغ منتصف الطريق بعد أن تجاوز وادي الشقيق[١٩]، نصب الأحواض مملوءة بماء وأمر بطرح السويق والسكر فيها، وسبّلها للناس يشرب منها الصغير والكبير والماشي والراكب[٢٠]. ثم عاد فعمل مثل ذلك لمن معه من الحجاج ولغيرهم. عندما وصل ميقات "يلملم"[٢١] فأمر بنصب الأحواض فملئت ماءً وطرح فيها السويق والسكر ما شاء الله وسبّلها للناس ، فشرب منها كما يقول الخزرجي[٢٢] القاصي والداني، والصغير والكبير . وزاد على ذلك بأن تصدق على الحاضرين جميعاً بدراهم كثيرة وثياب كثيرة للإحرام ، وشمل بمعروفه هذا وهداياه صاحب مكة وقت ذاك الشريف "رميثه بن أبي نمي"[٢٣] ومن جاء معه من الأشراف والأكابر وكانت كثيرة متنوعة[٢٤].

وعلى الرغم من أن هذين المثالين اللذين أوردناهما يُعدان أهم ما ورد في المصادر عن مكارم وصدقات سلاطين بني رسول أثناء سفرهم للحج ، إلا أن هناك أمثلة كثيرة لبني رسول في مبراتهم في مكة، إما بقيام بعضهم بكسوة الكعبة المشرفة، أو تزويد الحرم بالقناديل، وبناء المدارس، أو الصدقات والمبرات الكثيرة في مكة وفي بعض محطات طريق الحاج. بل نجد أن بعضاً من نسائهم كانت لهن مبارٌ وصدقات وجهود في تذليل صعاب الطريق، وبخاصة بعض مقاطع وعرة منه فقد وردت إشارات إلى أن والدة السلطان الملك الناصر[٢٥] المعروفة بـ "جهة الطواشي جمال الدين معتب بن عبدالله الأشرفي[٢٦]. كان لها عدة سبل ماء في الطرق يردها المسافرون[٢٧]، كما بذلت أموالاً لإصلاح الطرقات ، وتمهيدها وإزالة ما يعوقها من عقابيل

يتضرر بها المسافرون . كما كان لأخريات مبرّات أخرى حيث قامت زوجة السلطان نور الدين عمر بن علي بن رسول بعمارة مسجد الهليجلة بالتنعيم والمعروف بمسجد أم المؤمنين عائشة ، كما حفرت بقربه بئراً عذبة(٢٨).

والحقيقة أن العناية بطرق الحاج اليمني كانت معروفة في اليمن قبل الدولة الرسولية ، من خلال جهود عديدة قام بها حكام في الدويلات المتعاقبة في اليمن قبل الدولة الرسولية ، ولعلّ أبرز شخصية كان لها شهرة عريضة في العناية بطرق الحاج على امتدادها من حضرموت إلى صنعاء ، ثم من صنعاء إلى مكة ، وعبر جميع مراحل الطريق . هو القائد: الحسين بن سلامة المتوفى سنة ٤٠٢هـ(٢٩). وكان مولى بني زياد الذّاب عن حكمهم، والقائم بأمر الدولة في عصره . فقد جمع إلى حسن السيرة، والعدل في الرعية كثرة البرّ والصدقة وَبَذْل الوسع في العناية بطرق الحج. ومما ذكره المؤرخون والرحالة عن جهوده أنه : بنى الجوامع الكبار ، والمنائر الطوال ، وحفر الآبار وعمل المصانع، وعمرّ الطريق ابتداءً من حضرموت حتى مكة ، وعلى امتداد ما يقرب من ستين مرحلة(٣٠). حيث كان في كل مرحلة من مراحل الطريق يبني مسجداً أو يحفر بئراً ، بل نسب إليه تجديد العديد من الآبار التي حفرها أسلافه من حكام اليمن وغيرهم، وانطمرت، ومنها على الطريق التهامي الساحلي بئر الرياضة(٣١)، وبئر يلملم، وبئر الأدمة(٣٢)، وبئر البيضاء(٣٣). والملاحظ أنها كلها تقع في مناطق جافة قليلة الماء تقع أعلى الطريق الساحلي(٣٤). ولم تقتصر جهوده على طريق الساحل التهامي بل ذكر بعضهم أنَّ له جهوداً على طريق الحج العليا وهي المعروفة بالطريق الداخلية، والمارة من صعدة عبر السراة إلى الطائف فمكة(٣٥).

كما كان لعلي بن محمد الصليحي جهود أخرى حينما مدّ سلطانه إلى مكة عام ٤٥٥هـ . حتى بلغ من حسن سياسته، وتصريفه للأمور في مكة، وعلى طرق الحاج ، أن أَمِنَ الحجاج أمناً لم يعهدوا مثله فيما سبق من عهود، حتى كانوا يعتمرون ليلاً ونهاراً ، وكانت أموالهم محفوظة، ورحالهم محروسة، وضرب على أيدي المفسدين(٣٦).

طرق الحج في عصر بني رسول :

ذكر المؤرخون والرحالة والجغرافيون أكثر من طريق للحاج اليمني مما كان معروفاً ومطروقاً عبر أزمان ماضية وعهود قد انصرمت ، وذهبوا إلى تقسيمها إلى أقسام وفصّلوا في ذلك ، على اختلاف في الأسماء وتقدير المسافات بين كل مرحلة وأخرى(٣٧).

ولا يعنينا هنا الاسترسال في هذه التفصيلات لأن هذه الدراسة محصورة في العصر الرسولي ، وغالباً كان سفر الحجاج وسلاطين بني رسول يتم عن طريقين : برّي وبحري. أما البرّي فهو ما يسمى بالطريق التهامي ويتفرّع إلى فرعين هما ما يسمى بالجادة السلطانية أو الطريق الوسطى، والآخر الطريق الساحلي ، والحقيقة أنهما طريقان متجاوران بل إنهما يلتقيان في عدد من المحطات حتى يتفرقا في السرّين(٣٨) والطريق الآخر المعني بالدراسة هو طريق البحر(٣٩).

ولا يعني هذا الاقتصار على هذين الطريقين أن الطريق البرّي الآخر والمعروف بالطريق العليا ، أو الطريق الداخلي بفروعه والذي يخرج من صنعاء فيمر بصعدة، فنجران، وينطلق عبر السراة، فبيشة، فبلاد خثعم إلى الطائف فمكة. لا يعني أنه لم يكن مطروقاً في العصر الرسولي بل كان يقصده بعض الحجاج كما ستأتي الاشارة لاحقاً ولكنه قياساً بالطريق

التهامي في عصر بني رسول لم يكن مشهوراً لانصراف أغلب الحجاج بما فيهم السلاطين إلى الطريق الآخر . بل كان هو طريق المحمل اليمني في عصر بني رسول ، ولم ترد أية إشارة فيما أعلم وتيسر لي من مصادر أن المحمل قد سار عبر الطريق الداخلي. وليس معنى هذا أن الطريق الداخلي أو العليا لم يكن مشهوراً قبل ذاك، بل إن إشارات الجغرافيين والرحالة عنه في مؤلفاتهم تدلّ على شهرته في القرون السابقة لحكم بني رسول وقبلهم الأيوبيون كطريق للحج والتجارة(٤٠). لكن هذا الطريق بدأ يفقد بريقه في عصر بني رسول وينصرف عنه أغلب الحجاج اليمنيين إلى الطرق الأخرى لعدة أسباب حسب وجهة نظري أوجزها في الآتي :

أولاً : أن الجيوش الأيوبية التي خرجت إلى اليمن برّاً للسيطرة عليه وإزالة دولة بني مهدي(٤١)، سلكت الطريق الساحلي ، بل بقي هذا الطريق هو مسلكهم في تنقلهم ما بين مكة واليمن.

ثانياً: أن الملاحظ وبعد الاستقصاء فيما بين يدي من المصادر ، وبحسب ما أعلم أن جميع سفرات حج السلاطين من بني رسول وقوافلهم، ومحمل الحج كان يتم عبر الطريق التهامي باتجاهيه، كما كانت أغلب سفرات القوافل الأخرى التي لم يكن للسلاطين إشرافٌ عليها وقادها آخرون كالفقهاء الصوفية كما سيأتي كانت تسلك الطريق الساحلي.

ثالثاً : أن الطريق الداخلي أو الطريق العليا المار من صعدة فنجران فالسراة إلى الطائف فمكة. أصبح طريقاً غير آمن مقارنة بالطريق الساحلي نظراً لبعده عن سيطرة الدولة الرسولية هذا من جانب ، ومن جانب آخر فإن سكانه كما يقول ناصر خسرو(٤٢) " كانوا عتاة ، وأغلبهم لصوص، وسفاكو دماء وهم كثير ومن كل جنس ، ولم يكن لهم رئيس

واحد، بل كان في كل بادية منها حاكم مستبد لا يخضع لأي سلطة مركزيّة ، وتكثر في هذه النواحي على هذا الطريق السرقة والقتل والنهب. ويعضد قول ناصر خسرو هذا ابن المجاور إذ يقول عنهم" ... وجميع ما في هذه الأعمال لم يكن عليهم سلطان ولا يؤدون خراجاً، ولا يسلمون قطعة، إلا كل واحد منهم مع هوى نفسه . وبهذا لا يزال القتال دأبهم ويتغلب بعضهم على بعض ويضرب (بعضهم بعضاً) وهم طول الدهر على هذه (الفتن)....[٤٣] ".

ولعلنا نفهم تجنّب بني رسول لهذا الطريق في أسفارهم إذا علمنا أن الداعي الصليحي علي بن محمد قضى نحبه على يد ابن نجاح سنة ٤٥٩هـ أثناء خروجه إلى مكة، وذلك عند التقاء الطريق بالمهجم[٤٤]. ناهيك عن أن بداية هذا الطريق يقع غالباً على امتداد نفوذ الزيدية في صعدة وصنعاء.

ومع هذا فلم ينقطع الحج عن هذا الطريق نهائياً في عصر الدولة الرسولية، فقد يقطعه الحجاج الخارجون من صعدة وما جاورها من البلاد ، وكذلك الحجاج الذين لا يحملون أموالاً وأمتعة يخشون عليها النهب والسلب ، بل يبدو أن قدراً كبيراً من سالكي هذا الطريق هم من الفقراء الباحثين عن صدقات المتصدقين[٤٥].

- التهديدات الأمنية للحجاج على الطرق البرّية والبحرية:

ويقصد بها مختلف التهديدات الأمنية بأشكالها سواء ما كان منها ذات طابع جنائي، أو مكوس وضرائب ، أو مخاطر أمنية أخرى تتعلق بالبيئة من عطش وجوع وغيرها . وفي هذا المبحث نقتصر على ما يتعرض له الحاج من تهديدات أثناء سيره على الطريق من اليمن وحتى وصوله مكة ، وسنفرد مبحثاً خاصاً لأوضاعه الأمنية في مكة وداخل المشاعر المقدسة.

فأمّا ما يتعرض له الحاج اليمني في عصر دولة بني رسول أثناء سفر الحج عبر البرّ والبحر فإنه وإن كانت هناك مخاطر وعوارض أمنية لكن لا يمكن قياس خطورتها - وبخاصة ما كان منها ذو طابع جنائي - بما كان يقع لحجاج العراق مثلاً ، أو حتى مقارنة بحجاج مصر والشام في بعض الفترات ذلك لأن حجاج اليمن في هذا العصر وبخاصة في فترة قوة الدولة الرسولية تمتعوا بنوعٍ من الحماية وتذليل الصعوبات من خلال فرض هيبة سلطان الدولة في عهود قوتها على أغلب مراحل الطريق إضافة إلى أن سكان البلاد التي يمر فيها الطريق التهامي على وجه الخصوص لم يكونوا بمثل الشراسة وجفاء الخلق الذي كانت عليه قبائل العرب الساكنة على طريق العراق مثلاً(٤٦).

ومع ذلك فلم يسلم حجاج اليمن من مخاطر أمنية عانوا منها في أنفسهم وممتلكاتهم أثناء رحلات الحج إلى مكة ، أو ما بين مكة والمدينة عند خروجهم لزيارة مسجد النبي ﷺ وقبره كما سيأتي بيان بعض الأمثلة.

وللحقيقة فإن أكثر معاناة حجاج اليمن كانت على يد بعض أشراف مكة وأتباعهم ، والمتصفح للمصادر التي أوردت عدداً من الحوادث، وبخاصة المصادر المحلية كمؤرخي مكة سيقف على ما ذهبنا إليه وسيأتي عدد من الأمثلة الدالة على هذه الحقائق .

ومن أشكال التهديدات التي يتعرّض لها حاج اليمن على الطريق التهامي، أعمال النهب والسلب التي تنزل بهم ، ولكون كثير منهم يحملون معهم أموالاً وأعراض تجارة ليتجروا فيها أثناء موسم الحج في مكة والمشاعر فقد كان هذا مما يُغري أشراف مكة وأتباعهم وعبيدهم على وجه الخصوص للتعرّض لهم في أثناء الطريق لسلبهم ونهبهم، أو جبايتهم.

ومن الأمثلة على ما تعرض له الحجاج في الطريق وبخاصة ما بين حلي بن يعقوب[٤٧] ومكة. وهي مراحل من الطريق تكون خارج سلطة الدولة الرسولية. فمثلاً في سنة ٧٥٧هـ . خرج الشريف "ثقبة"[٤٨] بأتباعه وعبيده فترصد للحاج اليمني الذي كان قد خرج منهم عدد كبير على الطريق البري من الحجاج والتجار معهم أموال وممتلكات يقودهم رجل يسمى "الفقيه البركاتي" فهجم عليهم "ثقبة" بمن معه، ويبدو أن القافلة اليمنية لم تكن تتمتع بأي نوعٍ من أنواع الحماية فلم يجد مقاومة ، وانتهى الأمر إلى أن استولى على جميع ما معهم من البضائع والقماش كما يقول المؤرخ المكي ابن فهد[٤٩]، وكانت شيئاً كثيرا[٥٠]".

ويبدو أن ضعف الحماية أو انعدامها لقوافل الحجاج اليمنيين خاصة تلك التي ليس للسلاطين إشراف عليها كانت من أسباب الجرأة عليها لأننا نجد أن القوافل التي كان السلطان يخرج على رأسها ، أو يخرج فيها قائد المحمل أو العلم لم تكن تتعرّض حسب علمي لأي تهديد أمني جنائي غالباً أثناء الطريق[٥١]، يُضاف أيضاً إغراءات الأموال ، والممتلكات التي يحملها معهم حجاج اليمن للتبادل التجاري في موسم الحج ، فلم يكن يصبر عنها الأشراف الثائرون أو حتى الأمراء الحاكمون ، مما يجعلها لقمة سائغة لهم يتناسون أمامها هم وعبيدهم أي وازع من دين أو خلق، أو حُرمة الحاج، المنقطع إلى الله وإلى بيته الحرام.

ففي سنة ٧٦٠هـ خرج الشريف " سند بن رميثة"[٥٢] والذي كان يومها أميراً على مكة[٥٣]. في عبيده وأتباعه إلى طريق الحاج اليمني بين حلي بن يعقوب ومكة ، وحينما أقبلت قوافلهم باغتهم فنهب وسلب ما معهم من أموال وممتلكات وعاد إلى مكة[٥٤].

وكأن هؤلاء الحجاج من أهل اليمن لم يكفهم ما نزل بهم من "سند" ليخرج عليهم شريف آخر هو " ثقبة" فينتظر عودتهم إلى بلادهم ليقطع عليهم الطريق أثناء مرورهم بالسرين[٥٥]" . ويقوم بجبايتهم ظلماً وعدواناً كما يقول ابن فهد وغيره[٥٦]. ولم يسلم مع ذلك الحجاج من بعض القبائل على امتداد الطريق من اليمن إلى مكة ، فقد كانت تعترض الحجاج بالنهب والسلب ، بل كان بعض الحجاج يفقد روحه إذا ما حاول مقاومة هذه القبائل . بل إن الملاحظ أن أكثر هذه القبائل كانت تعتدي على حجاج اليمن داخل المشاعر وفي مكة، وفي أكثر الحالات كانت الاعتداءات عامة تطال غالب الحجاج بما فيهم حجاج اليمن ، مما سوف نشير إليه لاحقاً. ومن الأمثلة على ما يتعرض له حجاج اليمن أثناء الطريق من اعتداءات القبائل ما وقع لعُصبة من حجاج اليمن الذين حجّوا إلى مكة عبر الطريق العليا أو ما يسمى بالطريق الداخلي المار من صعدة حتى الطائف والعودة. فقد اعترضت قبيلة " بني زهير" لهؤلاء الحجاج عند نفرتهم من منى عائدين إلى بلادهم ، فلما أصبحوا في عقبة " الهدا" بالطائف وثبوا عليهم فنهبوهم وسلبوهم وجرحوهم، وذلك في موسم حج عام ٦٧٥هـ[٥٧]. ولم تكن جميع القبائل الواقعة على طريق الحاج التهامي قطاع طرق ، بل عُرف بهذا العمل بعض القبائل ، وفي بعض مراحل الطريق ، وإن كان الغالب أنها تلك التي تسكن بالقرب من مكة ، أو على مراحل الطريق بين حلي ومكة.

ومن هذه القبائل " قبائل بني شعبة[٥٨]" وبخاصة فروعها الساكنة في "الليث[٥٩]" وهي من القبائل التي كانت تهاجم حجاج اليمن بين مكة وحلي ، وتهاجم الحجاج جميعاً في منى والمشاعر المقدسة . وقد وصفهم ابن المجاور وصفاً مفزعاً يدلّ على جهالة مطبقة ، وضعف في الوازع الديني

والخُلقي فهم كما يقول: يسمّون الحاج المار بهم " جفنة الله " لذلك يسارعون لنهبهم وسلب ما معهم، وعندما ينهاهم العقلاء فإنهم يقولون : "إذا حضرت جفنة الله لخلقه أكل منها الصادر والوارد ..."[٦٠].

وهم من أكثر القبائل خروجاً على الحاج اليمني حتى كان بعض الحجاج يضطرون عندما يصلون إلى حلي إلى ركوب البحر إلى جُدّة ، وتفضيل ذلك على المواصلة برّاً خشية من قطاع الطرق بين حلي ومكة[٦١]. ويبدو أن إيذاءهم للحجاج وقطع الطريق عليهم استمر حتى بعد انتقال مجموعة منهم إلى منازلهم الجديدة في درب ملوح والذي عرف فيما بعد بدرب بني شعبة فقد كانوا مسيطرون على جزء من الطريق اليمني ، والظاهر كما يقول بعض الباحثين أنهم اختاروا هذا المكان لممارسة نشاطهم ضد الحجاج بعيداً عن أعين السلطات اليمنية والمكية[٦٢].

ولعل الطريق ما بين حلي بن يعقوب ومكة كما يذهب بعض الباحثين إلى أنها أكثر مراحل الطريق تخويفاً للحجاج اليمنيين لكثر من يخرج عليهم فيها من العربان الذين يقطعون الطريق ويعيثون فساداً[٦٣].

وعلى الرّغم من أن مراحل الطريق التي تقع دون حلي بن يعقوب جنوباً تعد أفضل مراحل الطريق أمناً وأقلها مخاطراً فإنه في بعض الأحيان تخرج قبيلة "جهينة[٦٤]" والتي تسكن ما بين "البرك[٦٥]" و "اللؤلؤة[٦٦]" لتعترض قوافل حاج اليمن وتقوم بنهب ما معه ، إلا أن الغالب على فعلها كان منطلقه الثأر ممن يصحب القافلة من أشراف مكة ، وكان هذا في سنة ٧٠٤هـ. وهذه الحادثة وإن كانت كما قلت موجهة في الأصل إلى غير قافلة الحجاج[٦٧]. إلاّ أنه يُستشف منها أن تلك القبيلة بجرأتها هذه على عسكر الرسوليين[٦٨]، لن تتوانى مع قوافل الحاج العزّل . لكن المصادر التي بين

أيدينا لا تفصح عن حوادث تذكر في قطع الطريق من جانب هذه القبيلة ، ولعلّ ما ساهم في الحدّ من ذلك اكتفاؤهم بالجبايات التي كانوا يأخذونها من الحجاج أثناء عبورهم إلى مكة ، أو عند عودتهم منها(٦٩).

وعلى الرّغم من أن المصادر المتاحة لم تنص صراحة على أن الحاج اليمني قد تعرّض داخل حدود الدولة الرسولية في اليمن وأثناء تنقله بين مدن اليمن نفسها لأي حوادث من قطع الطريق ، أو حالات لنهبٍ أو سلبٍ. لقرب مركز السلطة في الدولة الرسولية من هذه المراكز التي يمرّ بها حجاج اليمن داخلياً إلا أنه يُفهم مما ذكره الشرجي ، أن الحاج اليمني عندما ضعف سلطان بني رسول تعرّض للنهب وقت تنقل القافلة من بلد إلى آخر داخل اليمن نفسها(٧٠). كما لم تفصح المصادر التي بين يدي عن حالات تعرّض فيها حجاج اليمن لقطع الطريق أثناء سفرهم إلى المدينة لزيارة مسجد رسول الله ﷺ وقبره، إلا في حالة واحدة ذكرها الشرجي في معرض ترجمته للفقيه ابن عجيل والذي كان قائداً لإحدى القوافل في أوائل عهد الدولة الرسولية ، فلما توسطت القافلة الطريق إلى المدينة خرج عليهم جماعة من الأعراب تزمع نهب القافلة، وفي الوقت الذي كان فيه الحجاج في خوف ووجل كان الفقيه قد انتحى جانباً يدعو، والأعراب تتربص بهم حين غفلة ، فأغاثهم الله بعساكر أرسلها أمير المدينة فشتت شمل الأعراب قتلاً وأسراً ونجت القافلة. وقد ذكرها الشرجي هنا في معرض كرامات الفقيه ابن عجيل(٧١).

معاناة حجاج البر من المكوس والضرائب :

تتضاعف معاناة الحجاج أثناء الطريق وفي مكة من المكوس والضرائب المرهقة التي تفرض عليهم قسراً(٧٢)، وسبقت الإشارة إلى بعضها، والذي

يفهم من بعض النصوص أن حجاج البرّ كانوا يدفعون مكوساً أثناء الطريق للأمراء المحليين، والقبائل التي يمرّون عليها في طريق ذهابهم وإيابهم ، وذلك مقابل تأمين الخفارة والحماية لهم من قطاع الطرق والغوغاء إلى أن يتجاوزوا تلك البلاد إلى بلاد أخرى ، ويستشف من هذه الإشارات القليلة أن من المحطات التي كان الحاج اليمني يدفع عند وصوله إليها مكوساً "المخلاف السليماني[٧٣]" والذي كان يحكمه وقتها الأشراف الغوانم[٧٤]. ويبدو أن هذه المكوس كانت أمراً معتاداً وحقاً مكتسباً لهم يؤديه الحجاج اليمنيون ليتمتعوا بالخفارة وتأمين الحماية أثناء مرورهم في بلاد المخلاف الواقعة تحت سلطان هؤلاء الأشراف[٧٥]. إلا أنه في سنة ٧٣٨هـ ونتيجة على ما يبدو لوقوع حالة من الصراع بين أمراء جازان (المخلاف السليماني) والملك المجاهد سلطان بني رسول وقتها[٧٦]. قام الأمير الجازاني بمطالبة الحاج اليمني بأكثر مما اعتادوا دفعه ، وبالغ في ذلك حتى عجز الحاج عن تنفيذ هذه المطالب ، واضطروا للرجوع إلى بلادهم وبطل حجهم تلك السنة كما يقول الخزرجي وغيره[٧٧]. والذي يظهر أن هذا العمل الذي قام به أمير جازان لم يكن مقصوداً وموجهاً للحجاج بقدر ما كان رسالة أو إشارة للسلطان الرسولي حملت تعبيراً عن إعلان استقلاليتهم، وعدم تبعيتهم لبني رسول، يدل لذلك أن المصادر المتاحة لم تذكر على حدّ علمي أيّ محاولة أخرى طيلة العصر الرسولي لأمراء جازان لمنع حجاج اليمن بأي شكل من أشكال الجباية على غرار ما كان يفعل غيرهم كأشراف مكة مثلاً.

ومن المحطات التي كان يدفع فيها حجاج البرّ ضرائب للأمراء المحليين حلي بن يعقوب ، فقد كان بنو حرام[٧٨]حكام حلي يأخذون ضرائب ومكوس من حجاج البرّ وحجاج البحر كذلك كما سيأتي ، لقاء تأمين الحماية لهم

وخفارتهم في حلي[٧٩]. ولكن هذه الحماية تظل ناقصة فلا في ضوء عدم استطاعة بني حرام الحيلولة بين الحجاج وعدوان أشراف مكة ، بل لا يملكون دفعاً حتى عن أنفسهم إذا ما خرج على الحجاج هؤلاء الأشراف من مكة.

ولعلّ أكثر معاناة حجاج البرّ من هذه المكوس والضرائب عندما يبلغون مكة، فقد كانوا يتعرضون كغيرهم من حجاج الأقطار الإسلامية لدفع ضرائب ومكوس ، ولكن حجاج مصر والشام على وجه الخصوص كانوا يتمتعون في بعض الأوقات بإعفاءات من دفع الضرائب والمكوس نتيجة لتعهد الشريف أبي نمي حاكم مكة سنة ٦٦٧هـ . للسلطان الظاهر بيبرس، بألا يمكس حجاج مصر والشام وأعمالهما وألا يأخذ منهم ضريبة، وأشهد بذلك على نفسه في الحرم، وذلك إكراماً منه ومن أشراف مكة للسلطان بيبرس[٨٠].

إلا أن الملاحظ أن هذا التعهد لم يحظ به بقية الحجاج سواء حجاج اليمن أو حتى حجاج العراق ، الذين كانوا يرزحون تحت وطأة هذه الضرائب والمكوس، بل أدّى انقطاع الضرائب من حجاج مصر والشام وما والاهما إلى المبالغة والتشديد على حجاج اليمن والعراق . وسأكتفي بذكر بعض الأمثلة للدلالة على مبلغ معاناة حجاج اليمن الواصلين إلى مكة عن طريق البرّ من هذه الأعباء.

فالمثال الأول ما يذكره الفاسي أن أشراف مكة كانوا يفرضون الضرائب والمكوس على كل ما يحمله الحاج اليمني معه ، فكانت تفرض على الطعام ، وعلى الراحلة وعلى المتاع ، وعلى الأموال التي يحملها للاستفادة منها في الموسم للتبادل التجاري والبيع والشراء[٨١].

والمثال الثاني ما وقع في سنة ٦٨٣هـ ونتيجة للصراع على فرض الهيمنة على مكة المكرمة بين السلطان الرسولي " الملك المظفر" وعقب استعادة الشريف أبي نمي سلطانه على مكة وإخراج الجيش اليمني منها، قام بالإساءة للحجاج في ذلك الموسم وما بعده ، و"بالغ في رفع قيمة الجباية عليهم"(٨٢).

وفي سنة ٨١٦هـ كان حجاج اليمن كثيرين ، وجاؤا معهم كما يقول الفاسي "بمتاجر كثيرة " وكان رئيس القافلة المعين من قبل السلطان "الملك الناصر" القاضي "أمين الدين مفلح التركي"، وبدل أن يقابلهم شريف مكة حينها الشريف "حسن بن عجلان" بالحُسنى ، دفعه طمعه ومن معه في أموال القافلة إلى أن يفرض عليها مبالغ طائلة وصلت حد الإجحاف والظلم الشديد لهم كما يقول الفاسي ، وحاول الحجاج وقائدهم الممانعة ، والاحتجاج على هذه الجباية الظالمة. فأغرى بهم الشريف غلمانه وعبيده فآذوهم في أنفسهم كثيراً، ولم يُغن أميرهم "مفلح" عنهم شيئاً ، بل لم يستطع حتى الدفع عن نفسه ، واضطرّوا بمن فيهم أميرهم إلى الرضوخ لرغبات الشريف وأتباعه(٨٣). وتكرر ذلك العمل من الشريف في سنة ٨١٧هـ(٨٤) وقد استساغ الأمر عندما لم يجد القوة التي تردعه عن هذا العمل ، لأن سلطان بني رسول وقتها كان ضعيفاً ويُعاني من الثورات العديدة القائمة ضده في بلاده(٨٥). لذلك لم يسلم في هذه السنة حتى أموال السلطان التي بعث بها إلى مكه ليُتاجر له بها في الموسم(٨٦).

على أية حال تلك أمثلة على مدى ما قاساه حجاج البرّ من الضرائب والمكوس المفروضة عليهم من أشراف مكة وغيرهم، وهي لا تُقارن بما عاناه حجاج البحر كما سيأتي معنا ومن تتبع بعض المصادر نجد أن قيمة المكوس

المفروضة على حجاج البر تختلف من عصر إلى عصر ومن أمير إلى آخر فعلى سبيل المثال نجد ابن فهد يذكر أنه كان يُؤخذ في عهد الشريف أبي نمي مبلغ "٣٠: درهماً على كل جمل[٨٧]. وفي بعض الفترات كان يؤخذ ما بين نصف دينار إلى دينار عن كل جمل[٨٨] ثم تزايد المبلغ على ما يبدو حتى وصل في فترة متأخرة إلى مبلغ كبير قدّر بـ "١٠٠" درهم على كل جمل بصرف النظر عن كون صاحبه فقيراً أو غنياً ، تاجراً أو حاجاً معه شيء أو ليس معه[٨٩]. وكان هذا سبباً من أسباب انصراف الحجاج عن طريق البرّ إلى طريق البحر كما يقول رفعت باشا[٩٠].

والمؤسف أنه إذا اختلف الأشراف على قسمة هذه المكوس والجبايات فيما بينهم ، وأحسّ بعضهم أنه غبن فيها عوّضها بالإعتداء على الحجاج أنفسهم الذين أخذت منهم هذه الضرائب الباهظة ، فنهبهم وسلب ما بقي معهم ولا حول ولا قوة إلا بالله[٩١]".

كما يتعرض الحجاج اليمنيون على الطريق البري لمخاطر أخرى تُعدّ تحدياً أمنياً يهدد حياة هؤلاء الحجاج ، ويقلق طمأنينتهم ويزعزع سلمهم ، وهذه المخاطر متعددة يمكن إجمالها في الآتي :

- مخاطر العطش :

يعد الماء من أهم العناصر الأساسية لاستمرار الحياة على وجه العموم ، وهو للمسافر حاجاً أو معتمراً من أهم اللوازم التي يحرصون على توفيرها أو التأكد من وجودها على طرقهم ، لأن في انعدامه وفقدانه ما يؤدي إلى مخاطر الهلاك والعطب، وقد مرَّ حجاج البر من اليمن عبر مراحل الطريق ببعض الشدائد من نقص الماء على وجه الخصوص والذي أدى في أحيانٍ عدة إلى موت أعداد كبيرة منهم.

ومن خلال ما ذكرته المصادر نقف على أن أكثر معاناة الحجاج اليمنيين من العطش ومقاساتهم من الظمأ كانت في مراحل الطريق الواقعة فيما بين الليث ، فيلملم إلى مشارف مكة ، ربما لأن هذه المنطقة بالذات أكثر مراحل الطريق جفافاً، حيث يقل فيها الماء وبخاصة في الصيف ، ثم تزداد المعاناة إذا ما كان الحاج كثير العدد.

ومن الأمثلة ما حصل في سنة ٨٠٠هـ عندما أخرج السلطان الملك الأشرف إسماعيل(٩٢)، محملاً إلى مكة فصحبته قافلة من الحاج كثيرة العدد ، ولما تجاوزوا الميقات إلى مكة ، نقصت المياه ، وأصابهم عطش شديد هلك منه كما يقول الفاسي ما يقرب من ألف نفس(٩٣).

بينما نجد أن العدد عند الخزرجي يبلغ أكثر من ألف وخمسمائة(٩٤) في يوم واحد ولعل ما ذكره الخزرجي من هبوب سموم عظيم وهم في يلملم(٩٥). يفسر لنا العدد الهائل الذي توفي في يوم واحد نتيجة هذه السموم والعطش المصاحب ، الأمر الذي لم يتحمله كثير من الحاج مع مشاق السفر، ويبدو أن الذين نزل بهم مع العطش والسموم هو ما يسمى بضربة الشمس والله أعلم.

وفي سنة ٨٥٠هـ ونتيجة لتوقف السفن التي كانت مسافرة من اليمن تحمل عدداً كبيراً من الحجاج في مكان يسمى " الرياضة" لعدم هبوب رياح كافية تتيح للسفن مواصلة السير فاضطر الحجاج للنزول منها ومواصلة السفر براً إلى مكة خشية من أن يفوتهم الحج . ولكن الدليل الذي استأجروه لإيصالهم إلى مكة ضل بهم عن الماء في بعض أنحاء الطريق ، ويبدو أنه كان طريقاً صحراوياً فمات من العطش خلق كثير لا يحصون كما يقول الجزيري(٩٦)، وإن كان قد ذكر أنهم يزيدون على مائتي نفس.

ولا يقتصر العطش الذي يصيب الحجاج على الطريق فقط بل كان الحجاج يُعانون العطش وشدّته داخل المشاعر حيث تُؤثر عوامل كثيرة ما بين كثرة الحجيج من جانب ، وقلة الماء في تلك الأماكن من جانب آخر ، مع مغالاة السقاة في أسعار الماء(٩٧) خاصة إذا ما وقعت نذر الحرب بين أهل مكة وأمراء الحج المصري فإن معاناة الحاج من الظمأ تزداد وتتعاظم ، وفي أقل الأحوال تهلك دوابهم من الظمأ(٩٨).

والعطش من المخاطر التي يتعرض لها الحجاج جميعاً بل قد يكون الذين يأتون من أماكن بعيدة ويقطعون مفاوز وفيافي وصحاري لا ماء فيها كالعراقيين على سبيل المثال أكثر معاناة من غيرهم والمتصفح لرحلات الحج والمصادر القديمة سيجد أمثلة كثيرة(٩٩). كما أن الحاج المصري والشامي تعرضا لأزمات من نقص الماء والعطش الشديد الذي أودى بحياة الكثير منهم فعلى سبيل المثال اشتد العطش سنة ٤٥٤ بما يقرب من ٢٠ ألفاً لم يسلم منهم إلا قرابة ٦ آلاف كانوا يشربون أبوال الإبل ، وقضى البقية نحبهم عطشاً(١٠٠).

كما أن هناك مخاطر أمنية أخر قاسى منها حاج اليمن على الطريق البرّي منها عوارض الأمراض والأوبئة التي تصيبهم في رحلتي الذهاب والعودة وداخل المشاعر ربما نتيجة العدوى ، ففي سنة ٧٢٤هـ على سبيل المثال وقع وباء في قافلة أهل اليمن كما يقول ابن فهد فمات نتيجة ذلك الكثير من جمالهم ورواحلهم، ومن ثم انتقل الوباء للحجاج أنفسهم فهلك به خلق كثير منهم(١٠١) . كما ذكر المؤرخون اليمنيون حالات عديدة وقع بالحاج اليمني وباء الطاعون في سفر الحج فهلك به أعداد كبيرة ما بين علماء وغيرهم من عامة الحاج(١٠٢).

كما تتعرض القافلة كذلك في بعض أثناء الطريق لما يقلق أمنهم من مخاطر الضواري ، والثعابين السامة ، ويكفي في هذا الجانب إيراد مثال واحد للدلالة على ذلك فيذكر الخزرجي أن قافلة الحاج اليمني في سنة ٧٤٢هـ أثناء رحلة الملك المجاهد الرسولي إلى مكة. خرج عليها عند نزولها بوادي دوقة(١٠٣) ثعبانان عظيمان خاف منهما الناس ، واضطربوا فتصدى لهما بعض مماليك السلطان فقتلاهما ، وبعد برهة فوجئت القافلة بخروج وحش كما يقول الخزرجي كريه المنظر جال وصال خلال القافلة ففزعوا وارتعبوا فتصدى له السلطان بنفسه فرماه بسهم فقتله ، فقرّت حينئذٍ أحوال الناس وانشرحوا(١٠٤).

وإذا كانت هذه المخاطر الأمنية المتعددة مما يعترض طريق الحاج اليمني البري، فإن معاناته في البحر أشد، وخاصة أن السفن تحمل من الأموال وعروض التجارة ما لا يحمله حجاج البر، كما أن حجاج السفن كثير منهم من التجار الموسميين الذين يحملون بضائع متنوعة للمتاجرة بها في مكة، وفي المحطات التي يمرون عليها على طول طريقهم من اليمن إلى جُدّة، وينبع ومن ثم إلى مكة وهذه المخاطر الأمنية متنوعة وهو ما سوف نفصله في المبحث الآتي.

التهديدات الأمنية لحجاج اليمن على الطريق البحري:

يُعدّ الطريق البحري الذي يمرّ على عدّة محطات منها ما يقع ضمن نطاق اليمن عامة ، ثم على امتداد الساحل شمالاً في بلاد المخلاف السليماني ، فموانئ حلي بن يعقوب ، والسرين وقبل ذلك حمضة(١٠٥)، وذهبان(١٠٦)، مما ليس هذا مجال التفصيل فيه(١٠٧). يُعدُّ من أهم طرق الحج والتجارة في عصر الدولة الرسولية.

وقد بدأ الطريق البحري يشهد رغبة كثير من حجاج اليمن في سلوكه والسفر إلى مكة عن طريقه لعدة أسباب منها : أنه يتمتع بنوع من الأمن خاصة مع المصاعب المتزايدة على الطرق البرية في أعقاب حالات الضعف التي مرّت بها الدولة الرسولية(١٠٨). كذلك التغلب على مشقة السير براً وما يصاحبها من عوارض ، ناهيك عن قصر مدة السفر في البحر وبخاصة إذا يسر الله لها ريحاً طيبة رخاء. ويمكن تقسيم المخاطر الأمنية لحجاج البحر إلى قسمين:

- مخاطر أمنية جنائية تتمثل في النهب والسلب ، وأعباء المكوس والضرائب.
- ومخاطر أمنية بيئية تتمثل فيما يعرض لحاج البحر من غرق وذهاب أموال ونفوس ، ومعوقات أخرى.

فمن أشد المخاطر الأمنية الجنائية التي تنزل بحجاج البحر ، بل تكاد تكون أشدَّ ما تأذى منها حجاج البحر كثيراً ، ولولاها لأصبح البحر طريقاً يتمتع بأعلى صفات الأمان بصرف النظر عن المعوقات البيئية. هذا الخطر هو عدوان أشراف مكة الدائم على السفن وأصحابها، بل إن سفن اليمن كانت غنائم سائغة لهذه الفئة ، وكان ضعف الحماية أو انعدامها من أهم ما جرّأ هؤلاء على أعمالهم. ويكفي في هذا الجانب أن نسوق أمثلة متعددة مما حفلت به المصادر المحلية المكية منها واليمنية التي رصدت وتابعت حالات الاعتداء المتتابع لأشراف مكة وأتباعهم، بل لأهمية ما تحمله هذه السفن من مؤن وأطعمة لأهل مكة ومدى تأثير وصولها أو تأخرها في النشاط الاقتصادي بعامة ، كان بعض الأشراف الثائرين يستخدمونها للضغط على أقربائهم حكام مكة ، عندما يستولون عليها ، أو يمنعونها

بالتعرض لها في أحد الموانئ التي تنزل بها هذه القوافل البحريه للتزود بالمؤن والماء أثناء رحلة السفر كالسرين ، أو "حلي" أو "جدة" أو غيرها. لذلك كانت سبباً من أسباب الصراع بين أشراف مكة على الحكم . ووسيلة من وسائل الضغط على حكامها .

فمن الأمثلة ما قام به الشريف "عجلان بن رميثة(١٠٩)" عقب عزله عن إمارة مكة من قبل السلطان المملوكي "الملك الصالح إسماعيل بن الناصر محمد بن قلاوون" وتولية "رميثة" مكانه. فما كان منه إلا أن خرج إلى جهة اليمن كما يقول الفاسي: ومنع "الجلاب(١١٠)". من الوصول، فوقع نتيجة ذلك غلاء عظيم في أيام الحج(١١١). كما قام الشريف عجلان أيضاً في سنة ٧٤٤هـ بالتعرض لجلاب اليمن واستولى على جميع ما في أيدي أصحابها من الأموال(١١٢). وتتنوع أشكال الاعتداء على قوافل الحاج البحرية وسفنهم من قبل بعض الأشراف ففي سنة ٧٥٠هـ خرج "ثقبة" إلى ساحل اليمن فترصد سفن الحاج في مينائي: "حمضة" و "ذهبان" وما إن توقفت في كل منها للتموين حتى وثب عليها هو وعبيدهُ وأتباعه فأخذوا ما فيها(١١٣).

وفي سنة ٧٥٣هـ خرج "عجلان بن رميثة" إلى ناحية اليمن كما يقول الفاسي فلقي "جلبة" فأخذ ما فيها وكان قدراً جسيماً(١١٤).

وتكاد لا تمر سنة وموسم حج إلا وللأشراف اعتداءات على سفن الحاج، ففي سنة ٧٥٦هـ: خرج " ثقبة" عقب فراره من مصر في عهد إمرة أخيه "عجلان" فانقض على ما وجد من السفن في "جدة" ونهبها جميعاً(١١٥). وفي سنة ٧٨٩هـ خرج الأخوان "محمد بن عجلان" و "كبيش بن عجلان" على حجاج البحر فنهبوهم نهباً شديداً وكان مالاً عظيماً(١١٦). قال الفاسي، وابن فهد أنه قُوّم بـ "٦٠٠٠٠٠" ستمائة ألف مثقال ذهب"(١١٧).

ومثل هذه الأعمال إضافة إلى المبالغة والتشدد في فرض الضرائب والمكوس على ما تحمله هذه المراكب[118]، تؤدي بطبيعة الحال إلى ردّ فعل ليست في صالح أهل مكة ، أو الحجاج ، أو حتى أمراء مكة من الأشراف، على اساس أن مكة بلد قاحلة فقيرة الموارد ذات إمكانية اقتصادية محدودة ما لم يرفدها من يأتي إليها من البلاد الأخرى تجاراً أو حجاجاً بالمؤن. وأعراض التجارة المختلفة . لذلك فإن ردة الفعل تكون إما بقيام سلاطين بني رسول بمنع وصول السفن وتجار الكارم من اليمن[119]. أو توجه هذه السفن بما تحمل من أطعمة وتموينات إلى ينبع وعدم الوقوف في جدة[120].

ولا تتوقف معاناة حجاج البحر على تصرفات أشراف مكة وأتباعهم تجاههم. بل هناك مخاطر بيئية تنال من أمنهم، وتؤثر في سكينتهم، وتشتت شملهم، بل تؤدي بهم إلى الهلاك في أنفسهم وأموالهم ، ومن هذه المخاطر البيئية ، تكسر المراكب وغرقها نتيجة لارتفاع الموج، واشتداد الأنواء، أو انحرافها نتيجة الرياح الشديدة والأمطار واصطدامها بالشعب المرجانية والأرصفة[121].

ففي سنة ٧٩٠هـ وقع مطر عظيم ورياح شديدة قبالة حلي بن يعقوب فغرق بسبب ذلك من سفائن الحاج السائرين في البحر ما يقرب من ١٨ سفينة، وقيل إحدى وعشرين سفينة، وهلك نتيجة ذلك طائفة عظيمة من الناس ، وتلفت أموال جليلة[122].

وفي سنة ٧٩٤هـ حج ناس كثير كما يقول الجزيري من اليمن عن طريق البحر وكان معهم متاجر فانكسر من جلابهم ببندر "جدة" ٣٦ جلبة[123]، وكان سببها ريح عاصف كما يقول ابن فهد حتى اضطروا في عودتهم إلى سلوك الطريق البري[124].

وفي سنة ٧٩٨هـ وقع في المخلاف السليماني مطر عظيم ورياح شديدة ضربت البحر على الساحل كما يقول الخزرجي فغرق نتيجة ذلك خمس سفائن من سفن الحجاج[١٢٥].

وأحياناً قد تتوقف الرياح التي تُسيِّر السفن في عرض البحر فلا تتحرك ويصبح الحجاج في موقف صعب لخشيتهم فوات الحج عليهم فيضطرون لمغادرتها للمواصلة عن طريق البر فيقعون في متاعب جمة[١٢٦].

هذه بعض المخاطر بشتى صورها يعاني منها حجاج البر والبحر أثناء سيرهم إلى مكة ، وهي صور تبين بجلاء عظم النعمة التي يعيشها حجاج هذا العصر من الأمن والدعة وتيسر السبل فلله الحمد والمنة.

الأوضاع الأمنية لحجاج اليمن في مكة والمشاعر المقدسة:

لا تنتهي معاناة الحاج اليمني بوصوله مكة ، والمشاعر ، بل لا نعدو الحقيقة إن قلنا إن الفترة الأصعب على الحاج هي التي يبدأ فيها بالوصول إلى مكة لتأدية مناسك حجه، ففي مواسم عدة وعلى امتداد العصر الرسولي ، تعرضت قوافل حجاج اليمن لأنواع شتى من العدوان ، أحياناً يكون هذا العدوان موجهاً لها قصداً ، وفي أخرى يلحقها ويعمها ما ينزل بالحاج عموماً من مخاطر أمنية.

وإذا كان المفترض أن يجد الحاج عموماً عند وصوله مكة والمشاعر: الأمن ، والاستقرار ، وأن يودع الخوف والمخاطر التي قابلها أثناء سفره إلى مكة، لأنه بوصوله مكة يكون قد وصل إلى بلد حرام ، حرّم الله فيه الإيذاء مطلقاً، ناهيك عن وجود إمارة وسلطان حاكم أنيط به أمر نشر الأمن،

والمحافظة على أرواح الحجاج وممتلكاتهم ، وتوفير الأمن لأداء المناسك في يسر وطمأنينة وسكينة، وأن يضرب بيد من حديد على كل من تسول له نفسه من قطاع الطرق عرباناً كانوا أو عبيداً من أهل مكة ، أو غيرهم. لأن نشر الأمن ، وبث العدل ، من أهم ما ينبغي عليه فعله وهو متولٍ حكم البلد، لكن الواقع من خلال ما تذكره المصادر وبخاصة المصادر المحلية التي أرخت لأشراف مكة ، أو للبلد الحرام ووصفت الأحداث التاريخية المتعلقة بهذه الفترات ، وأوردت أخباراً تبين بدقة الانفلات الأمني في البلد الحرام وما والاها من بلاد الحجاز في كثير من السنوات. ولا يعني هذا أنه لم تكن هناك فترات أمن واستقرار ، وحكام عُرفوا بالعدل والحزم، وسأشير إلى ذلك في آخر هذا المبحث.

على أية حال فإن المتتبع للمخاطر التي يمر بها حاج اليمن خصوصاً وبقية الحجاج عموماً في مكة والمشاعر من خلال ما ذكرته المصادر السابقة سيجد أنها مخاطر جنائية في المقام الأول ، يتسببُ فيها أطراف عدة.

وأهم طرف يُعاني منه حجاج اليمن وغيرهم داخل مكة والمشاعر هم أشراف مكة وعبيدهم وأتباعهم . فمن الأمثلة التي وردت عند المؤرخين ما حدث سنة ٧٩٣هـ عندما وقع الخصام الذي تطور إلى حرب بين الشريفين علي بن عجلان[١٢٧]، وعنان بن مغامس[١٢٨] على السلطة في مكة الأمر الذي أدّى إلى اضطراب الأمن ، وكانت فرصة لأتباعهما كما يقول ابن فهد للاعتداء على حجاج اليمن وهم في "المعابدة"[١٢٩] بين مكة ومنى " فنهبوهم نهباً فاحشاً[١٣٠]. وقد يكون أمير مكة من الأشراف هو من يوجه ويقود الهجوم على الحاج عموماً ولا يرى بأساً من أخذ أموال وأمتعة الحجاج كغنيمة يستحلها ومن معه من عبيده وأتباعه - دون وجه حق - ففي سنة

٦٩٨هـ هاجم شريف مكة يومها أبو نمي ومن معه الحجاج وهم في "عرفات" فقتل جماعة وجرح آخرين ونهب أموالهم وأمتعتهم حتى وصل الأمر به إلى أن أخذ الثياب التي على الحجاج . وبلغ نصيبه من هذه المنهوبات كما يقول "ابن فهد" أكثر من (٥٠٠) جمل(١٣١). ولا يفصح المؤرخون الذين ذكروا ذلك عن أسباب ودواعي هذا العمل المشين الذي صدر ممن ينبغي منه توفير الحماية للحجاج والحرص على أمنهم وتيسير سبل حجهم . وقد يدفع الشره فيما يحمله اليمنيون من أموال وأطعمة بعضاً من أشراف مكة إلى مهاجمة حجاج اليمن خاصة ونهبهم مثلما وقع من الشريف قتادة على ما يذكره الفاسي. ولا تحول حرمة المكان دون شن مثل هذه الاعتداءات على حجاج اليمن وغيرهم من الحجاج(١٣٢).

ومن أكثر الأماكن التي كان الحجاج يتعرضون فيها للنهب والسلب والقتل هي في المشاعر المقدسة كمنى، أو عرفات، أو المزدلفة، أو أثناء التنقل بين هذه المشاعر ، ولعل أسباب ذلك تعود إلى صعوبة توفير الحماية للحاج من العساكر المصاحبة لبعضهم أثناء التنقل بين هذه المشاعر ، وفي الليل حيث يتخفى المهاجمون من اللصوص وقطاع الطرق وغيرهم بالظلام . لكن الملاحظ أن أكثر هجوم هؤلاء كان يتم أثناء وفي أعقاب الصدامات التي تقع بين أمراء الحاج المصري والشامي وأشراف مكة ، والتي يشترك فيها أحياناً الحجاج وبخاصة المصريون فينتهز الأعراب والعبيد تلك الحال فيهاجمون الحجاج ، والأمثلة على ذلك كثيرة منها: ما حدث سنة ٧٩٧هـ وفي أعقاب المشاجرة الواقعة بين بعض أهالي مكة وأمير الحج الشامي إذْ ثارت فتنة استغلها بعض قبائل الحجاز المتربصة لنهب أموال كثيرة من الحجاج(١٣٣) . وكانت قبائل "هذيل" و "بني شعبة" وغيرها . من أشرس

القبائل واسرعها إلى إيذاء الحجاج ونهبهم داخل المشاعر المقدسة. فكانت الأولى تُبيّت الحجاج ليلة عرفة أثناء نفرتهم إلى مزدلفة، فتنهب وتقتل وتسلب كما تريد[١٣٤]، وكان بني شعبه يغيرون ليلاً على الحجاج فيسلبون ويقتلون إلى الدرجة التي يتعذر على الحجاج في بعض المواسم المبيت بمنى يوم التروية ، والتعجل في النفرة من منى قبيل انقضاء أيام التشريق نتيجة ما يقع بهم من قبائل بني شعبة ، وهذيل ، وصاهلة ، وغيرها[١٣٥]. ويذهب بعض المؤرخين المكيين إلى أنّ أكثر من يتسبب فيما ينزل بالحجاج في هذه المشاعر من صنوف الإيذاء والنهب والقتل هم الغوغاء والرعاع والعبيد والنفرية من أهالي مكة وقبائل الحجاز وأتباع الأشراف[١٣٦].

ونتيجة لهذه الاعتداءات التي تحيق بالحجاج في أثناء الطرق، وفي مكة نفسها والمشاعر الحرام نجد بعض المؤرخين يوردون أثناء سردهم لحوادث الحج عدداً من السنين انقطعت فيها قوافل الحاج من جهة اليمن ، أو قلت أعدادهم ومنها مثلاً ما ذكره ابن فهد وغيره قال في أحداث سنة ٦٧٦هـ "ولم يحج في هذه السنة عصبة اليمن[١٣٧]" . كما لم يحج سنة ٦٧٧هـ من اليمن إلا نفر قليل[١٣٨]. وفي سنة ٨٠٥هـ لم يحج أحد[١٣٩]. وقد يتوقف الحاج اليمني مع توقف محمل الحج عن الخروج والذي تتسب عوامل كثيرة في عدم خروجه وانقطاعه في بعض السنوات، لعلّ من أهمها المشاكل الأمنية في مكة، وسوء العلاقة مع أشراف مكة وسلاطين المماليك في مصر أو نتيجة الحروب الداخلية في اليمن بين الرسوليين وخصماؤهم [١٤٠].

وقد يتنبأ أحد فقهاء الصوفية بوقوع فتن وقلاقل في مكة بناءً على استطلاعات وأخبار يُبلّغهُ بها بعض أتباعه في مكة فيتوقف ومعه أغلب حجاج اليمن عن الحج تلك السنة[١٤١] ، وفي هذا ينقل ابن فهد وغيره أنه

في سنة ٦٨٣هـ قيل للفقيه الصوفي أحمد بن موسى عجيل[١٤٢]. وكان متعوداً على الحج في كل سنة" ألا تحج هذه السنة ؟ قال : لا ! لا بدّ أن تقع فتنة بمكة". قال ابن فهد" فكانت الفتنة بين أبي نمي وقتادة ، وأخرى بين أبي نمي والحاج المصري[١٤٣]. وقد يضطر كثير من حجاج اليمن إلى الرّجوع من منتصف الطريق في مواسم الحج حينما يبلغهم اضطراب الأمن على الطريق، وعدم استقرار الأحوال في مكة، فيؤثرون العودة على المواصلة، وفي أذهانهم ما نزل بغيرهم من حجاج اليمن في سنوات خلت من إيذاء ونهب وسلب. يدل لذلك على سبيل المثال رجوعهم سنة ٨١٨هـ إلى بلادهم وقطع سفرهم "خوفاً على أنفسهم وأموالهم، ولم يحج إلا اليسير النادر من الناس من أهل اليمن"[١٤٤].

ولم يكن التوقف عن اداء شعيرة الحج في بعض السنوات نتيجة الاضطرابات الأمنية خاصاً باليمنيين بل إن المتتبع لما سرده المؤرخون ومنهم الجزيري في كتابه سيلحظ أنها عادة سار عليها الحجاج من الأقطار الإسلامية الأخرى في سنوات عديدة كان نقص الأمن ، وقطع الطريق من أهم الأسباب في هذا الانقطاع[١٤٥].

وسنحاول في المبحث الآتي إيجاز بعض الأسباب والعوامل التي عرّضت أمن حجاج اليمن للتهديد في الفترة محلّ الدراسة.

من أسباب وعوامل تهديد أمن الحاج في تلك الفترة :

لعبت مجموعة من الأسباب والعوامل دوراً في تلك التهديدات التي مرّ بها حجاج اليمن في عهد دولة بني رسول فمن هذه الأسباب والعوامل:

- **الصراع بين أشراف مكة بعضهم البعض على الحكم في مكة :**

ويعد هذا من أبرز العوامل التي عرّضت أمن الحجاج اليمنيين خاصة والحجاج عامة للتهديد ، سواء على طرق الحج البرّية والبحرية أو داخل مكة والمشاعر ، وكانت ردة الفعل الأولى للطرف المغلوب من أطراف الصراع أن يخرج إلى طريق أهل اليمن فيتعرّض للقافلة البرّية أو البحريّة فينهبها أو ينجلها(١٤٦)، ومع أن قصدهم من هذا العمل التأثير في الطرف الحاكم لمنع وصول الميرة والتموينات إلى مكة ، أو الاستفادة من المكوس والضرائب على المراكب التي تحمل الحجاج اليمنيين والتجار التي تُؤخذ منهم حين نزولهم في جدة، إلا أن الطرف المتضرر بهذا العمل هم الحجاج اليمنيون حينما تنهب أموالهم وتسفك دماؤهم، ويُعادّ تحصيل الجباية منهم مرة أخرى من حكام مكة مما سبقت الإشارة إليه. كما أن هذا الصراع بين الأشراف يؤدي إلى ضعف يد السلطان في الحرم والمشاعر وما والاها الأمر الذي يُجّري الغوغاء من العرب والعبيد وأتباع الأشراف وغيرهم إلى انتهاز فرصة الخلافات فينقضون على الحجاج فلا يكاد يسلم منهم أحد سواء من حجاج اليمن أو غيرهم من الحجاج(١٤٧). وقد سبق ذكر عدد من الأمثلة(١٤٨).

- **تدخل أمراء الحج المصري في الشؤون الداخلية لأمراء مكة وأثر ذلك :**

كان لتدخل أمراء الحج المصري في الشؤون الداخلية لأمراء مكة بين عزل لبعضهم وموالاة لآخرين(١٤٩). وما يترتب على ذلك من نشوب النزاع بين هؤلاء وأولئك وأتباعهم. كانت من أهم الأسباب في عدوان عبيد الأشراف وأتباعهم، ومن يتربص من الحرامية وقطاع الطريق من أعراب الحجاز ، على الحجاج بعامة(١٥٠) كما كانت من العوامل التي تشعل أوار

الحرب داخل الحرم الشريف، وتؤدي إلى سفك الدماء الحرام في أيام حرام وبلد حرام وبطبيعة الحال فأن أكبر المتضررين من هذه الأحوال هم الحجاج جميعاً بما فيهم حجاج اليمن[١٥١].

والملاحظ مما يذكره بعض المؤرخين المكيين عن أسباب الفتن والحروب التي تنشب داخل الحرم بين الأشراف والحجاج المصريين إنما هي في واقع الحال أسباب تافهة قد يفتعلها الأشراف وعبيدهم لتكون وسيلةً للوصول إلى أموال وأمتعة الحجاج نهباً وسلباً[١٥٢]. كما أن تصرفات وسياسة أمراء مكة أثناء هذا الصراع بينهم وبين أمراء الحج المصري ، عندما يقومون بإغلاق أبواب الحرم أمام الحجاج جميعاً كان لها دور في حدوث البلبلة، واجتياح الحجاج أسوار الحرم مما يزيد في أوار الفتنة فلا يسلم فيها الحجاج وغيرهم. بل تكون فرصة لكل لصٍ ومفسدٍ في أن يفعل الجرائم في الحرم[١٥٣].

- النزاع بين السلطات اليمنية وأمراء الحج المصري وأثره :

وكان سوء العلاقة في بعض السنوات بين سلاطين بني رسول والمماليك في مصر عامل من عوامل تعرّض الحجاج اليمنيين بالذات لصعوبات ومخاطر من قبل أمراء الحج المصري ، ولعل السبب المؤدي لذلك هو التنافس على بسط الهيمنة على مكة المكرمة ، وكسوة الكعبة[١٥٤] ، ولأن بني رسول اعتادوا منذُ استطاع السلطان نور الدين عمر بن علي بن رسول بث سلطانه على مكة في أواخر عهد الأيوبيين . الخطبة له في مكة وبناء المبرّات كالمدارس والربط ، وإدخال عدة إصلاحات في مكة وتوزيع الصدقات[١٥٥]. ومن ثم قيام الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول بكسوة الكعبة ، وهو الأمر الذي لم يعجب مماليك مصر فوقفوا بعد ذلك

ضد كل قافلة يمنية، أو محمل يمني يصل إلى مكة وبصحبته كسوة للكعبة. حتى بلغ الحال إلى أن حاولوا منعهم في بعض السنوات من دخول مكة وإكمال شعائر حجهم(١٥٦).

وكان التنافس على أشدّه في عرفات مع حصول المصادمات أحياناً بين عساكر المحمل اليمني وأمراء المحمل المصري ، والذي انتهى في إحدى السنوات بالقبض على الملك المجاهد الرسولي وإرساله إلى مصر، والاعتداء على قافلة الحج اليمني ونهبهم وسلبهم وقتل بعضهم(١٥٧). وذلك بمواطأة من شريف مكة حينها.

وكان لموقف أشراف مكة المتذبذب في الولاء والتبعية بين سلاطين بني رسول من جهة ومماليك مصر من جهة أخرى دور في تفاقم العداء في بعض الأحيان بين المماليك في مصر وسلاطين بني رسول في اليمن، وانعكاس ذلك على قوافل الحاج اليمني(١٥٨).

والحقيقة أن ولاء الأشراف لأي من الفريقين لم يكن ولاءً حقيقياً فقد كان لبني رسول في أكثره ولاء طمع في الهبات والخزانات التي يبعث بها سلاطين بني رسول حتى إذا ما وقع تقصير أو تأخير أو منع ثاروا عليهم واعترضوا طرق الحاج البحرية والبرية فنكّلوا بالحجاج اليمنين ونهبوهم.

وأما مماليك مصر فقد كان ولاء خوف ورهبة وتزلّف. وكان هذا بطبيعة الحال يؤدي في أحيان عدّة إلى حالة من التوتر والقلق ، بل النزاع المسلح بين الأشراف وعساكر وأمراء المماليك الأمر الذي يضرّ بالحجاج وزوار البيت الحرام(١٥٩).

- **ضعف الوازع الديني وشيوع الجهل عند بعض القبائل :**

وقد يكون من العوامل والأسباب أيضاً كما يذهب أحد الباحثين إلى شيوع الجهل في تجمعات البدو، وما يُواكب ذلك من فراغ عقدي وضعف في الوازع الديني، وهو ما نمّى الميول للعدوان على الحجاج والمسافرين وسلب الأموال ، وإزهاق الأرواح ، فبسبب ضعف الوازع الديني عندهم هانت عليهم حرمة الحجاج، وحرمة المشاعر المقدسة ، فاستمروا في انتهاك الحرمات، وسفك الدماء وقطع الطريق ، وإخافة الحجاج والسابلة(١٦٠). ناهيك عن ضعف سلطان أمراء مكة في بعض الفترات في فرض الهيبة على البلاد ، وردع القواد والعرب وغيرهم، وكف يد اللصوص والحرامية عن العبث بأمن الحجاج ، ولعلّ الصراع الذي كان دائماً ما ينشب بين الأشراف على الحكم سبب مباشر في حصول مثل هذه الاضطرابات والقلاقل كما سبق القول . ويقودنا هذا إلى تساؤل فحواه هل هناك جهود بذلت لتأمين الحماية لحجاج اليمن ودفع المخاطر الأمنية عنهم؟؟ وهو تساؤل نحاول الإجابة عليه بإيجاز من خلال ما ذكره بعض المؤرخين في نصوص متناثرة على النحو الآتي :

أولاً - جهود بعض أشراف مكة :

كان لبعضهم دور في تأمين الحماية للحجاج سواء كانوا من اليمن أو غيرهم فالمتتبع لبعض ما ذكره مؤرخو مكة يقف على أن هناك جهوداً ملموسة، حرص من خلالها بعض أمراء مكة من الأشراف على نشر الأمن، وبث العدل، ورفع المظالم ، ومحاولة كف أيدي العابثين بأمن الحجاج من الأعراب والعبيد وغيرهم، مما كان له نتائج حسنة في كثرة الحجاج في بعض المواسم، وانتشار الرخاء، وسعة العيش في مكة وما جاورها . ومن

الأمثلة التي ذكرها المؤرخون التنويه عن عدل الشريف" عطيفة"[١٦١]، ووفور الأمن في عهده ، وعمله على حماية الحجاج ، وبثّ الطمأنينة في مكة وما جاورها، ورفع المظالم فكان أن شهد عهده وبخاصة في سنة ٧٢٠هـ حج الكثير من الناس من اليمن والأقطار الأخرى[١٦٢].

وعندما علم شريف مكة "حسن بن عجلان" بأن القواد وبعض أهالي مكة طمعوا في حجاج اليمن ، خرج لمرافقتهم وحمايتهم ومعه أتباعه حتى أوصلهم إلى "جدة" ولم يعد إلا بعد أن إطمأن على سفرهم سالمين إلى بلادهم"[١٦٣].

وعلى الرغم من أن هذا الشريف - حسن بن عجلان- صدرت منه سابقاً أفعال آذت الحجاج وبخاصة حجاج اليمن إلا أنه على ما يبدو جاهد بعد توليه إمارة مكة للعمل على كل ما يحقق الأمن ، ويخفف من عدوان العربان والحرامية على الحجاج كما يقول المؤرخ الفاسي : " ولولا مراعاة الشريف حسن للحجيج لكثر عليهم العويل مع الحزن الطويل"[١٦٤]. كما يشهد له في موضع آخر بقوله : "ولولا أمر صاحب مكة بالكف عن إيذاء الحجاج لكان أكثرهم رفاتاً ، وأموالهم شتاتاً"[١٦٥] ولما رأى كثرة اعتداءات المناوئين لحكمه من الأشراف (بني ثقبة) قام بمهادنتهم على مال معلوم يؤديه إليهم شريطة كف عدوانهم عن الحجاج اليمنيين وعدم التعرض لهم بالنهب والسلب[١٦٦].

ويتدخل أمير مكة ، الشريف : "أحمد بن عجلان"[١٦٧] سنة ٧٨٠هـ ليتوسط لدى أمير الحج المصري الأمير " قردمرداش " ليسمح لقافلة حجاج اليمن بالدخول إلى مكة وتأدية شعائر الحج بعد أن وقف لهم هذا الأمير على ابواب مكة مانعاً من دخولهم، ودخول محملهم[١٦٨].

ثانياً - دور سلاطين بني رسول في تأمين الحماية لحجاج اليمن:

سبق القول في بداية الدراسة أن لبني رسول بعض جهود في تذليل بعض العقبات للحاج اليمني(١٦٩)، لكن الواضح أن ترتيبات الحماية كانت غالباً ما تنصب على المحمل وما صاحبه من قوافل الحاج ولهم في هذا عدّة ترتيبات يمكن إجمالها فيما يأتي:

- كانوا حريصين على إصحاب المحمل وقافلته بعض من يفد عليهم من أشراف مكة - طلباً لنوالهم وهباتهم - ليكونوا خفراء للقافلة أثناء تنقلها في الطريق وعند وصولها إلى مكة والمشاعر ومن ثم مصاحبتها في العودة . ويُغدق السلاطين عليهم الكثير من الأموال(١٧٠).

كما يرسلون صحبة المحمل خزانة عظيمةً لأمير مكة من الأشراف تحوي الكثير من الأموال والمتاع والنفائس ، مع أموال أخرى تقسّم كصدقات في الحرم. وهذا في حالة ما إذا كانت العلاقة حسنة بين سلطان بني رسول وأمير مكة ، وإلا لم يرسل إليه شيئاً وهو ما ينعكس أثره سلباً في استقبال شريف مكة للقافلة والمحمل(١٧١).

كما كان بعض سلاطين بني رسول يشنون حملات تأديبية للقبائل والأمراء المحليين الذين تصدر عنهم أعمال تُؤثر في أمن الحاج(١٧٢)، وهي وإن كانت في الأصل لإخضاعهم لسلطان الدولة إلا أن من نتائجها تأمين هذه المحطات والمراكز والمسالك ودروب الحجيج اليمني(١٧٣).

كما كانوا في عصر قوة الدولة الرسولية يرسلون حاميات عسكرية لعمارة بعض المحطات على طريق الحاج والمرابطة فيها ، وهي وإن كانت قصداً كخط دفاع أولي لأي محاولة من جيش المصريين لغزو اليمن(١٧٤) إلا أنها تمهد الطريق، وتكسر شوكة القبائل على طول الطريق إلى حلي بن يعقوب(١٧٥).

ثالثاً - دور فقهاء اليمن وصوفيته:

تعد اليمن من البلاد الإسلامية التي ظهر فيها التصوّف منذ وقت مبكر فقد كانت بدايته منذُ القرون الإسلامية الأولى زهداً وتقشفاً وإغراقاً في العبادة الذي تطوّر خلال القرون حتى أصبحت له شعاراته وهويتهُ المعروفة(١٧٦). ثم أصبح للتصوّف والصوفية شأن كبير في عصر بني رسول إلى الدرجة التي يذهب فيها أحد الباحثين إلى أن تاريخهم الحقيقي في اليمن يبتدئ بهذه الدولة ، فقد كانت هناك صداقات بين كبار الصوفية في اليمن وسلاطين بني رسول(١٧٧). ولأن فيهم فقهاء، فقد قام الملك المظفر يوسف بن عمر بتولية بعضهم القضاء(١٧٨). لذلك زادت مكانتهم عند الناس في اليمن وفي الحجاز وغيرها من البلاد وزاد في هذه المكانة ما تردّد بين الناس العامة والخاصة من كرامات وخوارق كعادة الصوفية الأمر الذي أدى بالعامة من الناس إلى الاعتقاد فيهم والبلوغ بهم إلى درجة التقديس(١٧٩).

على أية حال ونظراً لهذه المكانة الرفيعة لهؤلاء الصوفية عند الناس كانوا يلجؤونه. إليهم في السنوات التي لم يكن يخرج فيها المحمل أو علم الدولة على رأس قوافل الحاج اليمني إلى مكة ، وللاستفادة من مكانتهم الروحية ، ولما شاع من أن اللصوص وقطاع الطرق لا يجرؤونه على التعرّض للقوافل التي يقودها هؤلاء الفقهاء الصوفية فيها . فقد كان الناس في اليمن يحجون بأعداد كبيرة إذا ما علموا بخروج أحد هؤلاء لقيادة القافلة . وممن اشتهر من فقهاء الصوفية في اليمن بقيادة القوافل الفقيه : "أحمد ابن موسى عجيل" وكانت شهرته تتجاوز اليمن إلى الحجاز وغيرها، وما كان أحد ممن عرف عنه التعرض لقوافل الحاج اليمني يجرؤ على اعتراض طريق قافلته، لما اشتهر بين الناس أن من سوّلت له نفسه ذلك حلّت به

قارعة ، وتسوق كتب التراجم وبخاصة تراجم الصوفية قصصاً يستشهدون بها على ما حلّ ببعض من حاول قطع الطريق على الفقيه وهو لا يعرفه ، وأنهم أصبحوا عبرة للمعتبرين[١٨٠]. وكان من عادته - ابن عجيل - أن يسير في آخر القافلة حتى إذا مرَّ بمنقطع حمله ، أو عطشان سقاه ، أو محتاج من القافلة أعانه[١٨١]، وكان ابن عجيل يستخدم نفوذه الروحي والتقدير والإجلال الذي يُقابل به من الأمراء وذوي النفوذ لمصلحة الحجاج. فذكر الشرجي أن أمير حلي بن يعقوب الحرامي فرض جباية على أحد التجار مقدارها (٣٠) ديناراً فتوسط بابن عجيل لدى الأمير فأرسل إليه يطلب حطها عنه فأجاب الأمير الحرامي طلبه سريعاً وأرسل إليه ببيتين:

أتانا كتاب ابن العجيل فبسته   ثلاثاً وقابلت السؤال بإسعاف

ثلاثين ديناراً يُريد حطيطها   فيا ليتها كانت ثلاثة آلاف[١٨٢]

وبعد وفاته قام أبناؤه وأحفاده من بعده بقياده قوافل الحجاج اليمنيين حتى أصبح يُطلق على كل قافلةً للحجاج تأتي من اليمن " قافلة ابن عجيل" فلا يكاد يعرض لها أحد، واستمر ذلك مدة طويلة[١٨٣].

ومن أشهر من قاد الحجاج من هذه الأسرة " إبراهيم بن أحمد بن موسى، قال الأهدل عنه : " وكانت له هيبة في القلوب "[١٨٤].

كما اشتهر آخرن من هؤلاء الصوفية بقيادة قوافل الحاج اليمني وتأمين الحماية لهم ونذكر منهم : الفقيه "عمر بن الأكسح" قال الأهدل "كان يحج بالقوافل، وظهرت له كرامات فكفت الأعراب عن قافلته خوفاً من دعائه عليها"[١٨٥].

ومنهم الصوفي: "أبو عبدالله محمد بن مبارك البركاني" قال الشرجي

في طبقاته[١٨٦]: " كان من كبار المشايخ الصالحين ، وكان يتولى السير بالقافلة من اليمن إلى مكة المشرفة فما كان أحد يقدر على التعرّض لقافلته بسوء من العرب وغيرهم، ومن تعرّض لذلك عوقب معجّلا، وله في ذلك كرامات كثيرة" . ومنهم الفقيه أبو بكر محمد بن سلامة قال الضمدي: "كان يحجّ بالناس فلا يعترض له أو للقافلة أحد بمكروه"[١٨٧].

ويبدو أن الناس في اليمن اعتمدوا على هؤلاء الصوفية في فترات طويلة وبخاصة عند انشغال السلاطين بمشاكلهم الداخلية عن تجهيز قوافل الحاج كما استمر الاعتماد عليهم في قيادة القوافل بعد ذلك لزمن طويل[١٨٨].

رابعاً- دور أمراء الحاج في تأمين الحماية :

وهذا يتأتى باجتماع كلمة جميع أمراء الحاج في المشاعر والاتفاق فيما بينهم وتنسيق العمل بالتعاون على تأمين الحماية لجميع الحجاج في المشاعر، وعلى الرغم من أنّ هذا قليل الحدوث بين أمراء الحاج الذين اشتهر بينهم التنافر والتنافس في أكثر من موسم من مواسم الحج. إلا أنه في بعض مواسم الحج توحدت جهودهم ، وعملوا معاً على تشديد المراقبة والحراسة ومراعاة الحجاج وبخاصة أثناء تنقلاتهم بين المشاعر الحرام، ففوتوا على الحرامية واللصوص مغافلة الحجاج وقادتهم والانقضاض عليهم، ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره ابن فهد في حج عام ٨١٧هـ من أن الأمراء تعاونوا على العناية بحراسة الحجاج[١٨٩]. وكذلك في سنة ٨٢٦هـ فقد احتاط أمراء الحاج بتشديد الحراسة للحجاج عموماً أثناء توجههم إلى عرفات ورجوعهم إلى منى، وفي بقية المشاعر، فلم يستطع كما يقول المؤرخون "أحد من الحرامية التعرّض للحاج بسوء في مأزمي عرفة ولا

غيره ، لعناية الأمراء وجماعتهم بحراسة الحاج[190]".

وعلى أية حال فعلى الرغم من هذه الجهود المبذولة لتوفير الأمن والحماية للحجاج في مكة والمشاعر، أو على طرق الحاج اليمني في عصر الدولة الرسولية، فقد سبق معنا شواهد كثيرة على مدى المعاناة التي عاشها الحجاج اليمنيون في سنوات عديدة من هذا العصر ، وتعرّضهم لصنوف عديدة من الإيذاءات الجسدية، أو نهب أموالهم وممتلكاتهم ، وبقي الوضع على حال إن لم يكن قد ازداد سوءاً في العهود التي تلت. حتى مع محاولات العثمانيون إبان سيطرتهم على اليمن وأجزاء من المخلاف السليماني في القرن العاشر الهجري وما بعده تأمين الحجاج بعساكر مجهزة تصحبهم إلى مكة والمشاعر ، ومحاولة الضرب على أيدي العربان وبخاصة عقب إعادة تجهيز محمل الحج[191].

لكن ظلت الحالة العامة هي معاناة حجاج اليمن خاصة والحجاج عامة قائمة من قطاع الطرق والحرامية حتى وحد الملك عبدالعزيز طيب الله ثراه المملكة تحت سلطة واحدة ولواء واحد، وأقيمت الحدود الشرعية على كل مجرم ولص، فعم الأمن البادية والحاضرة فانقطع بفضل الله دابر الفوضى، والجهل، والعبث ، وحلّ مكانها الطمأنينة والاستقرار والرخاء فأصبح الحج هيناً، وأمن الحجاج على أنفسهم وأموالهم وممتلكاتهم ولله الفضل والمنّة.

الخاتمـــــة

وفي نهـاية هذه الدراسـة المعنونـة بـ (الأوضـاع الأمنيـة لحـركـة حـجـاج اليمن في عصر الدولة الرسولية) ، نوجز أهم النتائج فيما يأتي :

- تعرّضت قوافل الحجاج اليمينين لعدد من المخاطر الأمنية أثناء سفرهم إلى مكة المكرمة عن طريق البرّ (التهامي) وطريق البحر منها ما كان جنائياً كالنهب والسلب ، والإيذء والجبايات الظالمة، ومنها مخاطر بيئية من عطش ، وغرق ، وفقدان للأموال والأمتعة والممتلاكات على امتداد الطرق من اليمن حتى مكة.

- كانت أكثر معاناة الحجاج اليمنيين في عصر الدولة الرسولية تتضح بشكل كبير حين وصولهم إلى مكة ، وأثناء تنقلهم في المشاعر لتأدية شعائر حجهم ضمن مجموعات الحجاج الآخرين ، حيث تبين للباحث أنه لا يكاد يمرّ موسم من مواسم الحج إلا ونال الحجاج اليمنيين بشكل منفرد أو ضمن الحجاج الآخرين صنوف من المعاناة والمخاطر من أشراف مكة وبعض عرب الحجاز.

- تبيّن للباحث من خلال إفادات المصادر المحلية أن هناك مجموعة من الأسباب والعوامل كان لها دور كبير في التأثير في أمن الحجاج اليمنيين تركز مجملها حول أشراف مكة ومواليهم وأتباعهم ، وأنهم كانوا السبب الأول في تهديد أمن الحجاج اليمنيين خاصة وبقية الحجاج بوجه عام.

- كان للصدام الذي يقع بين أمراء الحج المصري والشامي من جهة وأشراف مكة وأهلها من جهة أخرى أبلغ الأثر فيما يحيق بالحجاج عامة

من أذى وسفك دماء، وفساد في البيت الحرام نفسه وفي غيره من المشاعر دون مراعاة لحرمة الزمان والمكان، كما أن الصراع على الحكم بين أشراف مكة أنفسهم من أهم أسباب حدوث الاعتداءات والتهديد لأمن حجاج اليمن وغيرهم من الحجاج.

- تُعدّ ظاهرة الاعتداء على الحجاج في المشاعر الحرام وبخاصة عند انتقالهم فيما بين منى وعرفات ، أو عرفات ومزدلفة من أهم ما أقلق أمن الحجاج، لأسباب تعود إلى ضعف الحراسة من أمراء الحج أحياناً أو إلى المشاكل التي تحدث بين حجاج مصر وأهل مكة ، وكذلك ضعف سلطة أمراء مكة أنفسهم ، وعدم تحمسهم في أحيان أخرى وحرصهم للاهتمام بأمن الحجاج.

- تبين للباحث أن مشكلة تهديد أمن الحجاج على طرق الحج ، وفي مكة والمشاعر استمرت ظاهرة أمنية تؤرق الحجاج، والحكومات ، ولم يقض عليها بشكل نهائي بحمد الله إلا بعد توحيد المملكة في عهد الملك عبدالعزيز رحمه الله حيث أمن الحجاج على أنفسهم وأموالهم وممتلكاتهم.

الإحالات والمصادر والمراجع

(*) الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية والإدارية - قسم العلوم الاجتماعية - جامعة الملك خالد.

(١) انظر :الحسين، يحيى ، **غاية الأماني في أخبار القطر اليماني** ، تحقيق : سعيد عاشور، (القاهرة: ١٣٨٨هـ، دار الكاتب العربي) ، ص ٤٢٠،الجرافي، وعبدالكريم: **المقتطف من تاريخ اليمن** (بيروت : منشورات العصر الحديث ط ٢، ١٤٠٧هـ)، ص ٣٣؛ العبّادي عبدالله : **الحياة العلمية في مدينة زبيد في عهد الدولة الرسولية** ، (رسالة ماجستير غير منشورة)، ص ٣٣.

(٢) وقد سعى لإكساب ولايته الصبغة الشرعية بالحصول على التفويض من الخليفة العباسي المستنصر بالله جعفر بن الظاهر (٦٢٣-٦٤٠هـ) فوصله التقليد سنة ٦٣٢هـ. الخزرجي، **العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية** ، تحقيق: محمد بسيوني عسل، (مصر: مطبعة دار الهلال ، ١٣٢٩م ، ٥٩/١ ، العبادي ، الحياة العلمية ، ٣٣ ، ٣٤ .

(٣) يذهب بعض الباحثين إلى أن الملك الناصر كان آخر الملوك الأقوياء ، والذي حاول القضاء على الثورات وتوطيد دعائم حكمه . العبادي ، الحياة العلمية ، ص ٣٨، ولكن الحقيقة أنها كانت محاولات يائسة سرعان ما انهارت الدولة عقب وفاته مباشرة.

(٤) الديبع عبدالرحمن ، **قرة العيون بأخبار اليمن الميمون** ، تحقيق وتعليق : محمد بن علي الأكوع (بيروت : ط٢ ، ١٤٠٩هـ) ص ٤٠٢-٤٠٥؛ أحمد، محمد عبدالعال، **بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما** (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٠م) ص٢٥٧ .

(٥) هي: أسرة يمنية تنسب إلى الشيخ طاهر بن معوضة بن تاج الدين ، برز منهم عامر وعلي ابن طاهر وعملاً أولاً نواباً في الدولة الرسولية ، ثم استغلا حالة الضعف في الدولة الرسولية ، وأعلنا الخروج عليها وقيام دولة بني طاهر ، واستمر حكمها إلى سقوطها على يد الأتراك سنة ٩٤٥/١٥٣٨م ، انظر ابن الديبع، **قرة العيون** ، ص ٤٠٥ وما بعدها ؛ والجرافي ، **المقتطف** ، ص ١٣٩ .

(٦) الحبشي عبدالله ، **حياة الأدب اليمني في عصر بني رسول** (صنعاء: منشورات وزارة الإعلام والثقافة بالجمهورية اليمنية د.ت) ص ٤٣، ٧١، وغيرها؛السنيدي عبدالعزيز **المدارس اليمنية في عصر الدولة الرسولية** (د.م ، ط١، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م) ص ٤٨ .

(٧) المندعي داود ، **الزراعة في اليمن في عصر الدولة الرسولية** ، رسالة ماجستير غير منشورة ، ص ٣٧، ٣٨ ، ٤٤، وغيرها، نقلاً عن العبادي ، **الحياة العلمية في مدينة زبيد**...

(٨) انظر جلال ، أمنة : **علاقات بني رسول بالحجاز (٦٣٠هـ.٨٥٨هـ)**، رسالة ماجستير غير منشور أم القرى **مقدمة إلى قسم التاريخ بكلية الشريعة الدراسات الإسلامية**، ص ٢٢١ .

(٩) السنيدي عبدالرحمن « أمن حركة الحج من المشرق الإسلامي إلى مكة خلال القرن الخامس الهجري » بحث مقبول للنشر في مجلة **التاريخ العربي المغربية** ، ص ١١.

(١٠) عبدالملك الجويني: **غياث الأمم في التياث الظلم** ، تحقيق فؤاد عبدالمنعم ،(الاسكندرية: دار الدعوة ، د.ت) ص ٢٦٥.

(١١) ابن الجوزي، **مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن** ، تحقيق : محمد حسن إسماعيل ، (بيروت: دار الكتب العلمية ، ط ١٤١٦/١٩٩٦م) ص ٢٠.

(١٢) ابن جبير ، **رحلة ابن جبير** (بيروت دار صادر ، د. ت) ص : ٥٥.

(١٣) مسلم، **الجامع الصحيح** ، جـ٣ ، ص ٩٨٧.

(١٤) مسلم، **الجامع الصحيح** ، جـ٣ ، ص ٩٩٤.

(١٥) الجوير، إبراهيم ، **دور الأمن في نهضة المجتمع من منظور علم الاجتماع وأحداث التاريخ**، ص ١٧٢ ، نقلاً من ، السيندي ، المرجع السابق ، ص ١٣.

(١٦) الجزيري ، عبدالقادر ، **الدر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المكرمة** ، تحقيق محمد حسن إسماعيل (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م) ٣٧٥/١. ابن فهد، **اتحاف الورى بأخبار أم القرى**، تحقيق فهيم شلتوت (جامعة أم القرى، د. ت) جـ٣ ص٥٤.

(١٧) انظر على سبيل المثال : الخزرجي ، **العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك** ، مخطوط (نشر تصويراً عن وزارة الإعلام والثقافة باليمن ، ط٢ ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م) ص٢٣٨-.٢٣٩ ؛ **العقود اللؤلؤية**: جـ١ص١٣٥ ؛وابن فهد،**اتحاف الورى بأخبار أم القرى** ، جـ٣ ص ٨٢ ؛ الفاسي، تقي الدين؛ **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين** ، تحقيق فؤاد سيد ، (القاهرة: ١٣٨١م/١٩٦٢م) جـ٧ ص ١٨٩. وغيرها.

(١٨) هو السلطان الملك المجاهد سيف الإسلام أبو الحسن علي بن الملك المؤيد داود بن الملك المظفر الرسولي ، حكم الدولة الرسولية ما بين ٧٢١-٧٦٤هـ، خلّف العديد من المآثر من بين مدارس في اليمن ومكة، ومساجد وجوامع في مختلف الأنحاء من دولته، كما كان عالماً ومصنفاً لأكثر من كتاب . الحبشي ،عبدالله **حكام اليمن المؤلفون المجتهدون**(بيروت: دار القرآن الكريم ، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ١٤٩-١٥٥.

(١٩) هي بلدة ساحلية مطلة على البحر الأحمر ، تبعد عن جازان شمالاً بمقدار ١٤٥كيلاً على الطريق الساحلي إلى مكة ، وكانت قبل ذلك احدى محطات الحاج وتُعرف باللؤلؤة. البلادي ، عاتق ، **بين مكة واليمن ، رحلات ومشاهدات** (المكرمة : دار مكة للتوزيع والنشر ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م) ص ٢٣٥، ٣٠١ ؛ وأيضاً : العقيلي محمد بن أحمد **المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ، مقاطعة جازان (المخلاف السليماني)** (الرياض دار اليمامة ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) ص ٢٣.

(٢٠) انظر: رحلة السلطان الملك المجاهد الرسولي من تعز إلى مكة المكرمة ، مستلة من مخطوطة : "**فاكهة الزمن للأشرف الرسولي**" ، تحقيق : محمد الثيان ، **مجلة دارة الملك عبدالعزيز** ، ع١ ، س ٢٥، ١٤٢٠هـ ، ص ١٢٨.

(٢١) هو ميقات أهل اليمن ومن في حكمهم ممن يقصدون مكة عن طريق دروب الحج التهامية الساحلية ، (انظر تفصيلات أخرى عند: البلادي ، **معجم معالم الحجاز، مكة المكرمة،** (١٩٨١م ،) جـ٧ ، ص ٢٠١ ، جـ١٠، ص ٢٨-٣٠.

(٢٢) محمد الثيان، رحلة السلطان الملك المجاهد ، مجلة الدارة ، ص ١٢٨؛ **والعقود اللؤلؤية في إشارات سريعة** ، جـ٢ ، الصفحات ٦٩-٧٤.

(٢٣) هو : رميثة بن أبي نمي ، تولّى إمرة مكة مشاركة مع أخيه عطيفه (٧١٩-٧٤٦هـ). وكانت فترة حكمهما معاً يكتنفها النزاع وعدم الوفاق بينهما. انظر مزيد معلومات عن ذلك في: ، للفاسي العقد الثمين جـ٤ ، ص ٤٠٣-٤٢٤ .

(٢٤) انظر: "**رحلة السلطان الملك المجاهد**"، **مجلة الدارة** ، ص ١٢٨ ؛(**الخزرجي ، العسجد المسبوك** ص٣٧٩.

(٢٥) هو: الملك الناصر أحمد بن السلطان الأشرف إسماعيل الثاني ، تولّى السلطة في الدولة الرسولية بعد أن عهد إليه والده بذلك قبيل وفاته ، وقد استمر حكمه من ٨٠٣هـ/١٤٠٠هـ إلى سنة ٨٢٧هـ/١٤٢٣م؛ ، انظر: الخزرجي، العسجد المسبوك، ص٥٠٧؛ ابن الربيع ، **قرة العيون** ، جـ٢ ، ص ١١٩، على سبيل المثال .

(٢٦) "جهة" : لقب جرى مجرى الإسم منذ نهاية العصر العباسي ، ويُطلق على زوجات الخلفاء، أو السلاطين أوالملوك ، الخطيب ، مصطفى عبدالكريم ، **معجم المصطلحات والألقاب** التاريخية،(بيروت: مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص ١٢٩، وقد أطلق على نساء وأميرات سلاطين بني رسول وكان هذا اللفظ يسبق اسم الأب أو من تنسب إليه المرأة من (الطواشية) المربين الخصيان ، وهذا اللفظ يماثل في عصرنا معنى(حرم) والذي يقال لتجنب ذكر اسم المرأة أمام الغير تأدباً . (انظر: مجهول: **نور المعارف في نظم وقوانين وأعراف اليمن في العهد المظفري الوارف** ، تحقيق : محمد عبدالرحيم حازم ، صنعاء: المعهد الفرنسي للاثار ٢٠٠٣) ، ص ٥٢٥ حاشية (٣٨١٧). :الطواشي؛ **لقب يطلق** على الخدام الكبار من الخصيان ، الزبيدي ، **تاج العروب** ، **شرح جواهر القاموس**،(نشر، بيروت دار مكتبة الحياة ، م٤ ، مادة طوش).

(٢٧) الخزرجي ، **العسجد المسبوك** ، ص ٤٧٨.

(٢٨) الجزيري، **درر الفرائد المنظمة** ،جـ١ ، ص ٣٧٤.

(٢٩) هو الحسين بن سلامة مولى بني زياد حمل على عاتقه النهوض بدولة بني زياد بعد أن تضعضعت فأعاد لها الهيبة . وكانت له آثار حسنة ، انظر :الحسين ، يحيى : **غاية الأماني في أخبار القطر اليماني**، تحقيق : سعيد عاشور، ومحمد مصطفى زيادة (القاهرة : دار الكاتب العربي ، ١٣٨٨هـ /١٩٦٨م) ص ٢٣٢ وما بعدها .

(٣٠) اليمني عمارة ، **المفيد في أخبار صنعاء وزبيد** ، تحقيق : محمد علي الأكوع ، (صنعاء:المكتبةاليمنية ، ط٣ ، ١٩٨٥م) ص ٦٤-٧٠؛ ابن الديبع ، **قرة العيون** ،جـ٢، ص٢٣٢، ٢٣٣.

(٣١) هي : قرية تقع جنوب الليث كما يقول البلادي في كتابه ، بين مكة واليمن ص ٣٥٩، وقد أشار إليها عمارة اليمني عندما تحدث عن الآبار التي قام بتجديدها القائد : الحسين ابن سلامة مع أبار أخرى عن طريق الحاج اليمني الساحلي،(**اليمني، المفيد في أخبار صنعا وزبيد** ، ص ص ٦٤ - ٧٠ .

(٣٢) ذكرت في رحلة الملك المجاهد الرسولي بلفظ " بئر آدم" وهي بئر علي التي جددها القائد الزيادي الحسين بن سلامة للمزيد من المعلومات ، انظر: ابن المجاور ، **المستبصر، ص ٥٢**؛ والبلادي ؛ **معجم معالم الحجاز** ، جـ١ ، ص ٧٥-٧٦ .

(٣٣) هي بئر سميت باسم الوادي ، وتعتبر المرحلة الأولى على درب اليمن القديم للخارج من مكة ، البلادي ، **بين مكة واليمن** ، ص ٢٥ .

(٣٤) اليمني ، **المفيد** ، ص ٧٠.

(٣٥) ابن الديبع ، **قرة العيون** ، ص ٢٣٢ ، ٢٣٣ وما بعدها ، عمارة الحكمي اليمني ، **تاريخ اليمن** ، تحقيق كاي ، ترجمة : حسن سليمان ،صنعاء: مكتبة الإرشاد ، ص٥١.

(٣٦) انظر: المقريزي ، **الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك**، تحقيق : جمال الدين الشيال (بورسعيد: مكتبة الثقافة الدينية ، ط١ ، ١٤٢٠/٢٠٠٠م) ص٩٥.
وممن ذكر المؤرخون جهودهم في تأمين الحجاج في مكة والمشاعر ، الأمير: عثمان الزنجبيلي صاحب عدن . فقد اجتهد حينما حج سنة ٥٧٩هـ في صد عدوان الأعراب، وحماية الحاج في منى ، وأبلى في ذلك بلاءً حسناً. انظر: الجزيري ، **درر الفرائد**، جـ١، ص٣٦٠-٣٦١ .

(٣٧) تناولت مصادر كثيرة ذكر طرق الحج اليمني سواء ما كان منها على الساحل، أو الوسطى أو العليا، بمحطاتها ، وأبعادها أنظر : الهمداني ، **صفة جزيرة العرب** ، تحقيق محمد ابن علي الأكوع (الرياض: دار اليمامة ، ١٣٩٤هـ/١٩٧١م) ص٣٤١-٣٤٢ ؛ اليمني **تاريخ** ص ٥١-٥٣، والديبع، **قرة العيون** ، ص ٢٣٥، ٢٣٦؛ الحربي، **المناسك** ، بعناية حمد الجاسر (الرياض : دار اليمامة ، ص ٦٤٣-٦٤٦؛ الإدريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** ، (بيروت عالم الكتب، ط١، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) جـ١، ص١٣٨ وغيرها).

(٣٨) السرين : بلدة على ساحل البحر الأحمر ، وتقع على طريق الحاج ، بينها وبين الليث ما يقرب من ٤٩ كيلاً . البلادي ، **معجم معالم الحجاز** ، **وبين مكة واليمن**، ص ٥٩ .

(٣٩) العمري ، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار** ، جـ٢ ، ص ٣٠٦ .

(٤٠) ذكر الفاسي في **العقد الثمين** : ٢٤٢/٦ أن الأمير علي بن محمد الصليحي قبل أن يصبح حاكماً في اليمن مكث ١٥ سنة وهو يحج بالناس دليلاً لهم عبر هذا الطريق.

(٤١) دولة قامت في اليمن وقاعدتها زبيد ، وأسسها أحد المتغلبين : علي بن مهدي الحميري الذي جمع حوله أوباشاً من عرب اليمن ومن الحبشة فتغلب بهم على زبيد وغالب اليمن، واستمر حكم هذه الأسرة حتى سقطت على يد الأيوبيين عند دخولهم اليمن سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م. ابن عبدالمجيد: **بهجة الزمن في تاريخ اليمن**، تحقيق: عبدالله الحبشي ط١ (صنعاء: دار الحكمة اليمانية ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ، ص ١١٨-١٣٣ ؛ اليمني، **تاريخ اليمن** ، ص ١٤٨-١٥٧).

(٤٢) خسرو ، ناصر ، **سفر نامة** ، ترجمة يحيى الخشاب، (لبنان العربي الدولي للمعلومات د. ت، د. م)، ص ١٢٥؛ وانظر كذلك النسخة التي ترجمها وقدم لها. أحمد البدلي (الرياض : عمادة شؤون المكتبات بجامعة الملك سعود ، ١٤٠٣هـ)، ص ١٤٢ .

(٤٣) ابن المجاور، **صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز ، المسمى: (تاريخ المستبصر)**، اعتنى بتصحيحها: أوسكر لوفقرين ط٢، (بيروت: شركة التنوير للطباعة ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م) ص ٣٧-٣٨ .

(٤٤) المهجم : **بلدة خاربة تقع في وادي سردد من أعمال الزيدية باليمن**، الحجري: محمد بن أحمد، **مجموع بلدان اليمن وقبائلها** ، تحقيق : إسماعيل الأكوع (صنعاء: مكتبة الإرشاد، ط٣، ١٤٢٥هـ، جـ٤ : ص ٧٢٥)؛ وانظر عن قصة مقتل الصليحي علي يد ابن نجاح ، المهجم ، **غاية الأماني في أخبار القطر اليماني** ، ص ٢٥٦-٢٥٨ .

(٤٥) الفاسي، **العقد الثمين** ، جـ٦ ، ص ١٠٦-١٠٧ .

(٤٦) عانى حجاج العراق والمشرق الإسلامي لفترات طويلة من رعب الطريق، وما يفعله بهم بعض القبائل العربية وغيرهم . أو القرامطة من قتل وترويع ، ونهب وسلب، وقد ذكر المؤرخون كابن الجوزي وأبن الأثير ، وابن كثير ، وغيرهم كثيراً من الحوادث كما تتبع بعض ما نزل بهم خلال سنوات العصور الإسلامية ، الجزيري في كتابه الدرر الفرائد المنظمة ، وهناك أبحاث حديثة درست أمن الحجاج من المشرق والعراق، ومنها على سبيل المثال : دراسة د. السنيدي : أمن حركة الحج من المشرق الإسلامي إلى مكة المكرمة. خلال القرن الخامس الهجري. وانظر: الزيلعي ، **مكة وعلاقتها الخارجية (٣٠١هـ. ٤٨٧ هـ)**، ص ١٠٤ وما بعدها.

(٤٧) حلي بن يعقوب : اسم للوادي وللمدينة التي تقع عليه ، وهي مدينة قديمة تقع على طريق الحاج اليمني ، وتقع اليوم على مسافة (٦٠) كيلاً جنوب القنفذة على ساحل البحر الأحمر البلادي ، **بين مكة واليمن** ، ص ١٧٦-١٨٧ .

(٤٨) هو: ثقبة بن رميثة بن أبي نمي الحسني ، تولى إمرة مكة شريكاً لأخيه عجلان ، له أخبار طويلة انظرها في. للفاسي: **العقد الثمين** جـ٣، ص ٣٩٥-٣٩٩) وغيره من المصادر المكية.

(٤٩) ابن فهد ، **اتحاف الورى** ، جـ٣ ، ص ٢٧٠ .

(٥٠) الجزيري ، **درر الفرائد** ، جـ١ ، ص ٤١١ .

(٥١) لأن السلاطين من بني رسول كانوا يعتنون بقافلة المحمل ، فيخرج معها ثلة من العساكر، أما إن كان السلطان على رأسها فإنه يصطحب عسكراً كثيراً الخزرجي، **العقود اللؤلؤية**، جـ١ ، ص ٥٥، ٣٣٥ على سبيل المثال.

(٥٢) هو : سند بن رميثة بن أبي نمي الحسني، تولّى إمرة مكة شريكاً لابن عمه محمد بن عطيفة بعد عزل أخويه ثقبة، وعجلان، وتوفي في سنة ٧٦٣هـ. انظر ترجمته ، الفاسي، **العقد الثمين** ، جـ٤، ص ٦١٧-٦٢١.

(٥٣) كان أميراً سنة ٧٦٠هـ واستمر شريكاً في الإمارة حتى وفاته ابن فهد، **اتحاف الورى**، جـ٣ص ٢٧٦.

(٥٤) ابن فهد ، **اتحاف الورى** ، جـ٣ ، ص ٢٧٨.

(٥٥) سبق التعريف بها ، ووردت عند ابن فهد، **اتحاف الورى** جـ٣ ، ص ٧٨، بلفظ "الواديين" وهو مسمى للسريني بعد أن دثرت في القرن السابع الهجري. انظر البلادي، **بين مكة واليمن**، ص٥٩-٦٠ .

(٥٦) ابن فهد، **اتحاف الورى** ، جـ٣ ، ص ٢٧٨، ؛الجزيري ، **درر الفرائد** ، جـ١، ص ٤١٢.

(٥٧) ابن فهد، اتحاف الورى ، جـ٣ ، ص ١٠٧.

(٥٨) أفاض في ذكرهم ، وما كانوا يفعلونه بالحاج ، ابن المجاور في **تاريخ المستبصر**، وهي مجموعة من القبائل وتنسب إلى كنانه وتمتد من الليث شمالاً إلى درب ملوّح جنوباً في المخلاف السليماني ؛ انظر : عنها بتوسع ، البلادي ، **بين مكة واليمن في صفحات كثيرة**، والعقيلي، **المعجم الجغرافي للبلاد السعودية، مقاطعة جازان**، في صفحات كثيرة أيضاً، وخصص العقيلي مقالاً في **مجلة العرب** فصّل فيهم أحوالهم ومواطنهم. (انظر: س س ٨ ع ١١، ١٢ ، ١٣٩٤هـ، ص ٨٩٦).

(٥٩) هي بلدة تقع على الوادي المسمى باسمها ، وهي الآن مدينة تبعد عن مكة جنوباً ما يُقارب ١٨٥ كيلاً . البلادي ، **بين مكة واليمن** ، ص ٣٠-٣٦ .

(٦٠) ابن المجاور، **تاريخ المستبصر** ، ص ٥٢.

(٦١) الفاسي، **العقد الثمين** ، جـ٦ ، ص ٦٤ ؛ اليافعي ، **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يُعتبر من حوادث الزمان** ،(بيروت : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، ط٢، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م)جـ٤ ص ٣١٧.

(٦٢) انظر الزيلعي ، **مكة وعلاقتها الخارجية** ، ص ١٠٨ ؛ العقيلي، **قبيلة بني شعبة** ، **مجلة العرب** ، ع١٢, ١١ ،١٣٩٤، ص ٨٩٦ .

(٦٣) الشرجي، **طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص** ط١ ، (صنعاء : الدار اليمنية للنشر والتوزيع، ١٤٠٦/١٩٨٦م) ص ١٩٩.

(٦٤) قبيلة جهينة : قبيلة عربية مشهورة تقطن بعض فخوذها سواحل منطقتي جازان والقنفذة حتى اليوم البلادي ، **بين مكة واليمن** ، ص ١٧٢ .

(٦٥) البرك : مدينة قديمة تاريخية مشهورة ، ويُرجح أنها " برك الغماد" التي ورد ذكرها في السيرة النبوية ، وتقع الآن على بعد ١٢٠ كيلاً جنوب القنفذة على ساحل البحر الأحمر. البلادي، **بين مكة واليمن** ، ص ٢١٧-٢٢٠ .

(٦٦) اللؤلؤة : بلدة قديمة لها تأريخ ، ذكر العقيلي أنها قد اندثرت ولا يوجد إلا أطلالها، وقرية صغيرة تقع إلى الجنوب من درب بني شعبة بنحو(٥ أكيال). العقيلي، **المعجم الجغرافي ، مقاطعة جازان** ، ص ٢٠٠ .

(٦٧) كانت موجهة لفرقة من العسكر الرسولي يقودها قائد يسمى " موسى بن أبي بكر بن علاء الدين" كانت راجعة من البرك بعد عمارتها والمرابطة فيها ، وقد صحبهم أثناء رجوعهم الشريف " طاهر بن ابي نمي " الذي كان يريد زيارة الملك المؤيد الرسولي فعدت عليهم والتحمت بهم ، فانهزم العسكر وطورد طاهر بن أبي نمي حتى قتلوه، وأخذوا أثقالهم ودوابهم . (انظر : **تاريخ اليمن من كتاب كنز الأخبار في معرفة السير والأخبار** ، المؤلف في البد : الحمزي: عماد الدين إدريس بن علي ، حققه د. عبدالمحسن المدعج (الكويت : مؤسسة الشراع العربي ، ١٩٩٢م) ص ١٣٤؛ الخزرجي؛ **العقود اللؤلؤية** ،جـ١ ص ٣٦٠؛ الخزرجي والعسجد المسبوك، ص ٣٠٦؛ ابن الحسين ، غاية الأماني جـ١، ص ٣٤٩.

(٦٨) يذكر الزيلعي ، أن بني رسول لم يصدر منهم رد فعل يذكر لردع هذه القبيلة وتأديبها على فعلتها، انظر: "الأشراف الغوانم ، أمراء المخلاف السليماني وعلاقاتهم ببني رسول في اليمن (٦٢٨هـ - ٨٠٣هـ)"، **مجلة العصور**، مج٦ ، جـ٢، (يوليو ١٩٩١م) لندن: دار المريخ ، ص ٢٨٧ .

(٦٩) الفاسي ، **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**، القاهرة: مطبعة السنة المحمدية، جـ٤، ص٨٩.

(٧٠) الشرجي ، **طبقات الخواص**، ص ٣١٣.

(٧١) المصدر نفسه ، ص ٥٩ .

(٧٢) هناك إشارات في بعض المصادر تذهب إلى أن أقدم مكث أخذ من الحجاج كان في سنة ٣٢٧هـ عندما فرضه القرامطة على حجاج العراق والمشرق .. ابن تغر بردي ، **النجوم الزاهرة** ، ج ١٠ ، ص ٢٦٤ .

(٧٣) يقصد بها المنطقة التهامية الساحلية التي كانت تتكون من مخلاف عثر الواقع إلى الشمال من جازان حتى حدود إمارة حلي بن يعقوب شمالاً ، ومخلاف حكم الذي يلي مخلاف عثر جنوباً ويمتد حتى وادي حرض ، وينسب كما يقول بعض المؤرخين إلى سليمان بن طرف الحكمي الذي وحد المخلافين تحت سلطته وحكمه في الثلث الأخير من القرن الرابع الهجري ، (انظر : الزيلعي أحمد ، "بنو سليمان حكام المخلاف السليماني وعلاقاتهم بجيرانهم" . ، **حوليات كلية الآداب** ، جامعة الكويت، الحولية الثانية عشرة، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م ، ص ١٣.

(٧٤) هي إحدى أسر الأشراف السليمانيين الذين استوطنوا المخلاف السليماني وأسسوا فيه حكماً وراثياً ، وينسبون إلى الشريف غانم بن يحيى بن حمزه ، وينقسمون إلى فروع أربعة ، كان فرع الغوانم يحكمون في جازان . (انظر: التفصيلات عند الزيلعي، أحمد "الأشراف الغوانم ، أمراء المخلاف السليماني وعلاقاتهم ببني رسول في اليمن" **مجلة العصور** ، مج ٦ ،جـ٢، يوليو ١٩٩٢ .

(٧٥) يفهم ذلك من عبارة الخزرجي في، **العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر اليمن** (مخطوط) بمكتبة الجامع الكبير الغربية ، صنعاء ، رقم ٣٣٨، ورقة ١٦ب. ؛ **الخزرجي العسجد المسبوك**، ص ٣٧٦-٣٧٧؛ ابن الديبع ، **قرة العيون** ، ص٣٦١ .

(٧٦) انظر: الخزرجي ، **العقد الفاخر**، ورقة ١٦؛ والديبع ، **قرة العيون** ، ص ٣٦١ .

(٧٧) الخزرجي : العسجد المسبوك : ص ٣٧٦-٣٧٧، والديبع : قرة العيون، ص ٣٦١ .

(٧٨) بنو حرام :أسرة حكمت حلي بن يعقوب منذ القرن الثالث الهجري ، التاسع الميلادي. انظر: الزيلعي، "بنو حرام ، حكام حلي ، وعلاقاتهم الخارجية " ، **مجلة كلية الآداب** ، جامعة الملك سعود، مج ١٥ ، عدد ١ (الرياض : عمادة شئون المكتبات ، ١٤٠٨هـ).

(٧٩) الضمدي النعمان : **العقيق اليماني** ، مخطوط ، ورقة ٣٥٨؛ الادريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** (بيروت : عالم الكتب ، ط١، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) ص١٣٨ .

(٨٠) ابن فهد ، **اتحاف الورى** ، جـ٣ ، ص ٩٦؛ الفاسي ، **شفاء الغرام** ، جـ٢ ، ص٢٤٩ .

(٨١) الفاسي، **العقد الثمين** ، جـ١ ، ص ١٩٤، ١٩٥ ، ١٩٦ .

(٨٢) العصامي، **سمط النجوم العوالي** ، جـ٤ ، ص ٢٢٤؛ ابن فهد، **اتحاف الورى**، جـ٣، ص١١٦ .

(٨٣) الفاسي، **العقد الثمين** ، جـ٤، ص ١١٧؛ وابن فهد ، **اتحاف الورى** ، جـ٣، ص ٥٠٧ .

(٨٤) الفاسي، **العقد الثمين** ، جـ ٤ ، ص ١١٧؛ ابن فهد، **اتحاف الورى** ، جـ٣، ص٤٩٤ .

(٨٥) السنيدي عبدالعزيز : **المدارس اليمنية في عصر الدولة الرسولية** ، ص٣٦ ؛ أحمد محمد عبدالعال **بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما** ، (القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م) ص ٢٢٧ .

(٨٦) ابن فهد ، **اتحاف الورى**، جـ٣ ، ص ٤٦٩، ٤٩٤ ؛ والفاسي، **العقد الثمين**، جـ٤ ، ص١٠٦، وقد ردّعلى ذلك الملك الناصر بحبس السفن التجارية والحجاج عن الوصول لمكة غضباً لما فعله الشريف حسن بن عجلان (اتحاف الورى ، نفسه).

(٨٧) ابن فهد ، **اتحاف الورى** ،جـ٣ ص ١١٦ .

(٨٨) المقدسي ، **أحسن القاسيم** . ج ١ ، ص ١٤ .

(٨٩) باشا رفعت ، **مرآة الحرمين** ، جـ٢ ، ص ٣٠٥ .

(٩٠) الباشا ، مرآة الحرمين ، ج٢، ص٣٠٥ .

(٩١) العصامي ، **سمط النجوم العوالي** ، جـ٤ ، ص٢٢٣ .

(٩٢) هو السلطان الملك الأشرف " الثاني" اسماعيل بن الملك الأفضل عباس ، حكم الدولة الرسولية في اليمن ما بين (٧٧٨هـ/١٣٧٦م) - ٨٠٣هـ/١٤٠٠م) واتسم عهده بعدد من الإصلاحات . (انظر: العرشي حسين بن أحمد ، **بلوغ المرام في شرح مسك الختام في من تولى ملك اليمن من ملك وإمام** . (بيروت: دار الندوة الجديدة)

(٩٣) الفاسي ، العقد الثمين ، جـ٤ ، ص ٩٣.

(٩٤) الفاسي ، **العقود اللؤلؤية** ، جـ٢ ص ٢٩٩؛ الفاسي، **العسجد المسبوك** ، ص ٤٩٦.

(٩٥) هو ميقات حاج اليمن ، (البلادي، **بين مكة والمدينة** ، ص ٢٧ وما بعدها .

(٩٦) الجزيري ، **الدرر الفرائد** ، جـ١ ، ص ٤٥٩.

(٩٧) يصل أحياناً سعر قربة الماء الصغيرة التي تسمى "الراوية" في المشاعر إلى أربعة دنانير، العصامي ، سمط النجوم، جـ٤، ص٢٢٤؛ وقد ذكر ابن جبير **في رحلته** ، ص ١٠٢ : أن قبيلة بني شعبة كانت تمنع الماء عن الحجاج وتتحكم فيه وتمنع جلبه إليهم إلا بعد الحصول على مبالغ كبيرة من المال .

(٩٨) ابن فهد ، **اتحاف الورى** ، جـ٣ ، ص ٧٥؛ والعصامي ، **سمط النجوم** ، جـ٤ ، ص٢٢٤ .

(٩٩) انظر مثلاً: ابن الجوزي سبط : **مرآة الزمان في تاريخ الأعيان " ٣٤٥هـ - ٤٤٧هـ** ، تحقيق، جنان الهموندي (بغداد : الدار الوطنية ، ١٩٩٠م) ص ١٥٢، السنيدي، **أمن حركة الحج من المشرق الإسلامي إلى مكة المكرمة**، ص١٩ وما بعدها .

(١٠٠) انظر على سبيل المثال الرشيدي ، أحمد حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولي إمرة الحاج تحقيق ، د. ليلى عبداللطيف أحمد (مصر: مكتبة الخانجي ، ١٩٨٠م) ص١١٣ وغيرها .

(١٠١) ابن فهد ، **اتحاف الورى** ، جـ٣ ، ص ٢٧٨؛ الجزيري ، **درر الفرائد**، جـ١، ص٣١٠، ٤١٢.

(١٠٢) انظر على سبيل المثال ، الأهدل ، **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن**، تحقيق عبدالله الحبشي، (أبو ظبي: منشورات المجمع الثقافي ، د.ت)١١٠/٢؛ الجندي ، **السلوك في طبقات العلماء والملوك** ، تحقيق محمد بن علي الأكوع ط٢ ، (صنعاء: مكتبة الإرشاد ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م) جـ١، ص ٣٢٦، ٣٦٣، ٣٦٩، جـ٢ ص ٣٧٣، ٤١٠ وغيرها ؛والخزرجي، **العقود اللؤلؤية** ، جـ١ ص ٤٢٦، ٤٣١ ، جـ٢ ص ٥١ ، ٥٤، ٨٦ ، على سبيل المثال .

(١٠٣) دوقه : هو واد فحل من أودية تهامة زهران إلى الجنوب الغربي من مكة بما يقارب ٢٨كم ويصب في البحر الأحمر ، وتقع عند مصبه قرية دوقة الأثرية ، (البلادي، **بين مكة واليمن** ، ص ٦٧-٧٤).

(١٠٤) رحلة السلطان المجاهد الرسولي : من مخطوطة للخزرجي : "فاكهة الزمن" ، **مجلة الدارة**، ع١، س ٢٥، ١٤٢١هـ، ص ١٢٨.

(١٠٥) حمضة : قرية وواد يكثر به شجر الدوم ، ويقع كلاهما إلى الجنوب من القحمة بمقدار ١٠كم. البلادي ، **بين مكة والمدينة** ، ص ٢٢١، ٢٣٣ .

(١٠٦) ذهبان : واد وقرية يقعان إلى الشمال من البرك بما يقارب ١٥ كيلاً ، وهو على طريق الحاج البحري . البلادي ، **بين مكة والمدينة** ، ص ٢٢٦ - ٢٢٩ .

(١٠٧) انظر: العمري: مسالك الأبصار ، جـ٢ ، ص ٣٠٦.

(١٠٨) انظر الجزيري ، **درر الفرائد** ، ج ٢ ، ص ٥٣ ، فقد ذكر أن الحجج انصرفوا عن طريق البر إلى البحر، ولم يعد يسلك طريق البر إلا من كان شديد الخوف من البحر.

(١٠٩) هو : عجلان بن رميثة بن أبي الحسني ، تولى إمارة مكة أكثر من مرة ، مستقلاً وشريكاً لأخيه وابنه ، توفي سنة ٧٧٧هـ ، الفاسي ، العقد الثمين ، جـ٦ ، ص٥٨-٧٣ . ويفهم من كلام ابن بطوطة، الرحلة ، جـ١ ص ٢٦٨، أن عجلان كان جريئاً على نهب الحجاج وسلبهم.

(١١٠) الجلاّب: هي نوع من المراكب التي كانت تحمل الحجاج والتجارة ، وتنتقل ما بين اليمن والحجاز ، ومصر أحياناً . انظر: حاشية (١) من جـ٦، ص٥٩، ٦٥، من **العقد الثمين** للفاسي ، ويُفهم من كلام ابن بطوطة في رحلته ، جـ١، ص ٢٦٨، أنها ذات حجم كبير بدليل تحميلها بالجمال والرواحل. وانظر عن كيفية صناعتها ، المسعودي ، **مروج الذهب** ج١ ، ص ٣٦ ؛ وابن جبير ، **الرحلة** ، ص ٤٧ .

(١١١) العصامي، **سمط النجوم العوالي**، جـ٤ ، ص ٢٣٥: الفاسي، **العقد الثمين** ، جـ٦ ، ص ٥٩ . كما ذكر حالات مشابهة منها مثلاً جـ٦ ، ص ٦٣ وغيرها.

(١١٢)**العاصمي سمط النجوم العوالي** ، جـ٤ ، ص ٢٣٥.

(١١٣) ابن فهد ، **اتحاف الورى** ، جـ٣ ، ص ٢٤٢، ثم عاد في سنة ٧٥٢هـ فاستولى على جميع ما في أيدي تجار اليمن الواصلين إلى جده وساعده أخواه سند ومغامس فجبوهم جباءً عنيفاً ومنعوهم من السفر إلى مكة ابن فهد ، **اتحاف الورى**،جـ٣ ، ص ٢٥٣-٢٥٤ .

(١١٤) **العقد الثمين** ، جـ٦ ، ص ٦٣ ؛ ابن فهد، **اتحاف الورى** ، جـ٣ ، ص ٢٥٧.

(١١٥) والأمثلة على ذلك كثيرة ، انظر عل سبيل المثال الفاسي **العقد الثمين** ج، ٦ ص ٦٢ ، ٦٥ ؛ ابن فهد ، **وأتحاف الورى** ، ج ٣ ، ص ص ٣٦٢ ، ٣٦٨ ، **العصامي**، **سمط النجوم العوالي** ج ٤ ص ٢٣٩ .

(١١٦) الخزرجي، **العسجد المسبوك** ، ص ٤٤٩، الفاسي ، **العقد الثمين** ، جـ٧، ص ٨٨.

(١١٧) انظر الفاسي، **العقد الثمين** ، ج ٦ ، ص ٨٨ ؛ ابن فهد، **أتحاف الورى**، ج ٣، ص ٣٦٢).

(١١٨) الأمثلة على ذلك كثيرة ومنها على سبيل المثال ما فعله "ثقبة" عندما خرج مغاضباً لأخيه عجلان فقصد "جدة" وجبى الجلاب الواصلة جباءً عنيفاً ، ونجلها جميعاً، الفاسي، **العقد الثمين** ، ٦٢/٦ ، وانظر أمثلة أخرى في ٥٩/٦، ٦٥؛ وانظر: أمثلة أخرى عند ابن فهد، اتحاف الورى، ٢٧٨/٣، ٣٦٢ ، ٣٦٨؛ وأخرى عند الجزيري، **درر الفرائد** ،٤١٢/١، وأحياناً يمكسون أكثر من مرة . الأولى عند اعتراض ثوار الأشراف لهم في منتصف الطريق، والأخرى عندما يصلون إلى جدة فيمكسهم واليها من قبل أمير مكة، وأمير مكة نفسه، ولا يبالي بما وصلت إليه حالتهم. انظر: العصامي، **سمط النجوم**، ٢٣٩/٤.

(١١٩) الفاسي، **العقد الثمين** ، جـ٤، ص ١٢٠ على سبيل المثال .

(١٢٠) ابن فهد، **اتحاف الورى**، جـ٣ ، ص ٤٠١، ٤٩٧، ٥٥٩؛ على سبيل المثال، وانظر الفاسي، **العقد الثمين** ، جـ٤، ص ٩٠ بل يكاد لا تمر بضع سنوات إلا وتقع حوادث غرق لهذه. السفن، ابن فهد، **اتحاف الورى**، جـ٣ ، ص ١٢٤.

(١٢١) تعتبر الشعاب المرجانية والصخور الناتئة التي تملأ سواحل البحر الأحمر مع وجود الدوامات المخيفة في أماكن متفرقة منه من أشد المخاطر التي يعاني منها حجاج البحر اليمنيون وغيرهم ، لأن سفنهم تصطدم بها فتتكثر وتغرق الإدريسي، **نزهة المشتاق**، نقلاً عن الزيلعي، **مكة وعلاقتها الخارجية** ، ص ١٧٤ .

(١٢٢) الخزرجي ، **العقود اللؤلؤية** ، جـ٢، ص ١٧٥، الخزرجي، **العسجد المسبوك** ، ص ٤٥٤.

(١٢٣) **الجزيري دررالفرائد المنظمة** ، جـ١ ، ص ٤٢٤.

(١٢٤) ابن فهد، **اتحاف الورى** ، جـ٣، ص ٣٨٥؛ الفاسي، **العقد الثمين** ، جـ٦، ص٢١٠.

(١٢٥) الخزرجي ، **العسجد المسبوك** ، ص ٤٨٥.

(١٢٦) الجزيري ، **درر الفرائد** ، جـ١ ، ص ٤٥٩.

(١٢٧) هو : علي بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي الحسني، تولّى إمرة مكة ثماني سنوات مستقلاً وشريكاً لعنان بن مغامس ، نهب حاج اليمين أكثر من مرة ، انظر: ترجمته وأخباره عند الفاسي ، **العقد الثمين** ، جـ٦ ، ص ٢٠٦-٢١٦.

(١٢٨) هو: عنان بن مغامس بن رميثة بن أبي نمي الحسني . ولي إمرة مكة مرتين في فترتين قصيرتين لم يتجاوز مجموعهما ٣ سنوات. وبقي على عداء مع الأشراف والمصريين ولم يسلم من حجاج اليمن. توفي سنة ٨٠٥هـ. الفاسي، **العقد الثمين**، جـ٦، ص٤٣٠-٤٤١ .

(١٢٩) ابن فهد، **اتحاف الورى**، جـ٣ ، ص ٣٨٠ ؛ والفاسي ، **العقد الثمين** ، جـ٦، ص ٢٠٩.

(١٣٠) الجزيري، **درر الفرائد** ، جـ١ ، ص ٤٢٤.

(١٣١) ابن فهد، **اتحاف الورى**، جـ٣ ، ص١٣١؛ الفاسي، **شفاء الغرام** ، جـ٢، ص٢٤٢؛ الجزيري، **درر الفرائد** ، جـ١ ،ص ٢٨٩.

(١٣٢) انظر: **الفاسي، شفاء الغرام**، جـ٢، ص٢٣٢، على سبيل المثال.

(١٣٣) الجزيري، **درر الفرائد**، جـ١، ص ٤٢٦، وذكر أن قبيلتا "هذيل" و "بني شعبة" نهبت الحجاج عند المازمين في عرفات نهباً ذريعاً.

(١٣٤) ابن فـهـد، **اتحـاف الورى**، جـ٣ ، ص ٣٩٥، ٣٩٦، ٦٢٤، ؛الفـاسـي، **شـفـاء الغـرام**، جـ١، ص٢٣٠، ٢٣١؛ الجزيري، **درر الفرائد**، جـ١ ، ص ٤٢٦؛ ابن جبير، **الرحلة**، ص١٣٦، ١٣٧، ١٥٠).

(١٣٥) الزيلعي ، **مكة وعلاقاتها الخارجية** ، ص ٧٥:

(١٣٦) الفاسي ، **شفاء الغرام** ، جـ٢، ص٢٤٥؛ الفاسي، **العقد الثمين** ، جـ١ ، ص ١٩٥، ٢٠٠ مثلاً ؛ ابن فهد، **اتحاف الورى** ، ٤٧٢/٣ ، مثلاً.

(١٣٧) ابن فهد **اتحاف الورى**، جـ٣ ص ١٠٨، وليس هذا خاصاً باليمن بل يتوقف الحجاج في أقطار أخرى كالعراق، والشام، وغيرها مثلما حصل في سنوات ٦٥٥، ٦٦٠، على سبيل المثال الفاسي ، جـ٢، ص ٢٣٨؛ وابن فهد ، **اتحاف الورى** ،جـ٣، ص٧٩؛ والجزيري ، **درر الفرائد**، ٢٧٩/١.

(١٣٨) الجزيري ، **درر الفرائد** ، ج٢، ص٢٨٤؛ ابن فهد، **اتحاف الورى** ، جـ٣، ص١١١؛والفاسي، **شفاء الغرام**، جـ١ ص، ٢٤١ مثلاً .

(١٣٩) ابن فهد، **اتحاف الورى**، جـ٣، ص٤٤٣؛ الجزيري، **درر الفرائد**، جـ١، ص٣٠٧، ٤٢٩ مثلاً.

(١٤٠) المقريزي ، **السلوك** ، ٢/٣ : ٥٠٩، ؛ابن فـهـد ، **اتحـاف الورى** جـ٣ص٢٤٣. وقـد توقف السلطان المجاهد في بعض المواسم عن الحج عندما علم بأن عساكر كثيرة خرجت من مصر للحج خشية الدخول في نزاع معهم. انظر ابن فهد، **اتحاف الورى**، جـ٣، ص٢٣٨ .

(١٤١) الخزرجي ، **العسجد المسبوك** ، ص ٤٥٨ مثلاً.

(١٤٢) هو : أحمد بن موسى بن علي بن عمير بن عجيل فقيه صوفي ، له شهرة كبيرة في اليمن وبلاد الحجاز ، عاصر أوائل الدولة الرسولية ، وكانت له مكانة عند المظفر الرسولي. الشرجي، **طبقات الخواص** ، ص ٥٧-٦٤ ؛ اليافعي، **مرآة الجنان**،ج٤ ص٨٣٣).

(١٤٣) ابن فهد، **اتحاف الورى** ،جـ٣، ص١١١، ١١٧ ؛ **الجزيري، درر الفرائد** ، جـ٢ص٢٨٤.

وتجدر الإشارة إلى أن الحاج اليمني كان يتوقف وينقطع عن الحج قبل العهد الرسولي لأسباب أمنية، وأخرى سياسية عقدية، فمثلاً: اضطر حجاج اليمن سنة ٣١٧هـ للانقطاع عقب دخول القرامطة بقيادة أبي سعيد الجنابي مكة ، وما فعله من عظائم في الحرم؛ وكما توقفوا قسراً عندما أمر علي بن الفضل القرمطي أثناء حكمه لليمن بمنع الناس من الخروج إلى مكة وصرفهم إلى أماكن في اليمن أضفى عليها صفة القداسة ليحجوا إليها بدلاً عن مكة والكعبة المشرفة . إذ ينقل الجندي في كتابه : **السلوك** ٢٠٨/١ قول علي بن الفضل للناس: "حجوا الجرف، واعتمروا التالبي" ولمّا لم يُصغ لهرطقته هاجم طرق الحج ونكل بكل من مرّ بها مسافراً إلى مكة ، فأرهب الناس حتى توقفوا مؤقتاً عن الحج. انظر : الجعدي ابن سمرة ، **طبقات فقهاء اليمن ، تحقيق فؤاد سيد**، (بيروت: دار القلم ، ص ٧٧، ؛ للجندي ، السلوك في طبقات العلماء والملوك ، جـ١، ص٢٠٨).

(١٤٤) مجهول ، **تاريخ الدولة الرسولية**، تحقيق عبدالله الحبشي (صنعاء: دار الجيل، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م) ص ١٧٩.

(١٤٥) الجزيري، **در الفرائد** ، في صفحات كثيرة .

(١٤٦) نجل المراكب يعني : إنزال ما تحمله من أموال وعروض تجارة إلى البرّ لأخذ المكس عليها. انظر: ابن فهد ، **اتحاف الورى** ، جـ٣/ص٤٠٨ ، حاشية (١٢).

(١٤٧) الفاسي ، **العقد الثمين** ، جـ٤، ص١٢٠؛ الفاسي ، **شفاء الغرام**، جـ٢/ص٢٥٣.

(١٤٨) انظر صفحة ١٢١ وما بعد من هذا البحث .

(١٤٩) انظر على سبيل المثال : الجزيري، **درر الفرائد**، جـ١ ، ص٣٨٣، ٣٨٦؛ والفاسي، **شفاء الغرام**، جـ٢ ، ص ٢٥١ ، ٢٤١ ؛ مؤلف مجهول ، **تاريخ الدولة الرسولية**، ص٨٧ ، وغيرها من المصادر.

(١٥٠) من هذه القبائل التي كانت تنتهز فرصة نشوب الإضطرابات والصراع للإنقضاض على الحجاج في المشاعر قبائل هذيل ، وبنو شعبة ، وبنوزهير ، والعمِرَة ، وغيرهم بالإضافة لما سبق: ابن فهد ، **اتحاف الورى** ، جـ٣، ص٥٩٥ ، ٣٩٦؛ والفاسي ، **العقد** ، جـ٤، ص٨٨، وغيرها؛ وابن المجاور، **تاريخ المستبصر** ، القسم الأول ، ص ٥٢ .

(١٥١) الفاسي ، العقد، جـ٢، ص ٢٠٠؛ وابن عبدالمجيد ، **بهجة الزمن** ، ص ٢٤٥.

(١٥٢) الفاسي ، **العقد**، جـ١، ص ١٩٥، **وشفاء الغرام**، جـ٢، ص ٢١٥، ٢٤٥؛ ابن فهد، **اتحاف الورى**، جـ٣ ص٣٧٤.

(١٥٣) ابن فهد، **اتحاف الورى** جـ٣، ص١١٦، ١٢٠؛ المقريزي ، **السلوك** ، ١/٣، ٧٢٤، ٧٢٦. ؛الفاسي، **شفاء الغرام**، جـ٢، ص٢١٥، ٢٤١؛ الفاسي ، **العقد الثمين**، جـ١، ص١٩٢؛ الجزيري، **درر الفرائد المنظمة** ، جـ١، ص٣٨٢، ٣٨٣، ؛ابن بطوطة ، **تحفة النظار** ، جـ١ ص٢٦٥-٢٦٦.

(١٥٤) انظر على سبيل المثال ابن فهد ، **اتحاف الورى** ، جـ٣، ص٤٩-٥٤، ؛الخزرجي ، **العقود اللؤلؤية** ،جـ١، ص٥٠، ٥٥ ؛الفاسي ، **العقد الثمين** ، جـ٤، ص٣٧٧، جـ٥، ص٦٥.

(١٥٥) الخزرجي ، **العقود اللؤلؤية** جـ٢ ، ص٧٧، ٧٨ ؛ الفاسي ، **العقد** ، جـ١، ص٣٤٨، ٣٨٦، الفاسي، **وشفاء الغرام**، جـ١، ص٣٢٨؛ ابن فهد، **اتحاف الورى** جـ٣، ص٥٨، ٦٠ وغيرها .

(١٥٦) وقع ذلك في سنة ٧٨٠هـ : عندما بعث الملك الأشرف اسماعيل الرسولي بكسوة للكعبة صحبة المحمل ، فاعترضه أمير الحاج المصري وحال بينهم وبين دخول مكة والمشاعر حتى تدخل أمير مكة "أحمد بن عجلان" . انظر : المقريزي ، **السلوك** ، ٣/١: ٣٤٥ ؛ ابن فهد ، **اتحاف الورى** ، جـ٣، ص ٣٣١-٣٣٢؛ الجزيري ، **درر الفرائد** ، جـ١، ص٣١٢.

(١٥٧) ابن الديبع ، **قرة العيون** ، **بأخبار اليمن الميمون** ، ص ٣٦٣ ؛ العصامي ، **سمط النجوم** ، جـ٤، ص ٢٤؛ أبو مخرمة، **تاريخ ثغر عدن** ط٢، القاهرة: مكتبة مدبولي ١٤١١/١٩٩١) ص ١٤٨؛ الخزرجي ، **العسجد المسبوك**، ص ٣٨٦.

(١٥٨) انظر على سبيل المثال : ابن فهد ، **اتحاف الورى** ، جـ٣، ص١٢٣؛ العصامي ، **سمط النجوم**، جـ٤، ص٢٢٢ .

(١٥٩) الفاسي ، **شفاء الغرام** ، ج ٢، ص ٢٤١ .

(١٦٠) السنيدي ، **أمن حركة الحج من المشرق الإسلامي** ، ص ٢٥ .

(١٦١) هو عطيفة بن أبي نمي محمد بن أبي سعد حسن علي بن قتادة الحسني ولي أمرة مكة نحو ١٥ سنة مستقلاً بها في بعضها وشريكاً لأخيه رميثة في بعضها . (انظر ترجمته وأخباره في للفاسي ، **العقد الثمين** جـ٦، ص ٩٥-١٠٥).

(١٦٢) ابن فهد، **اتحاف الورى** ، جـ٣، ص ١٧٢ .

(١٦٣) الفاسي، **العقد الثمين** ، جـ٤، ص ٩٤ ؛ ابن فهد ، **اتحاف الورى** ، جـ٣، ص١٧٢، كذلك قام "علي بن عجلان" في سنة٧٩٤هـ وعقب نكبة حجاج البحر اليمنيين ، بمصاحبة من سلك منهم طريق البرّ وتأمين الحماية لهم حتى أبلغهم مأمنهم. الفاسي، **العقد الثمين**، جـ٦ ، ص٢١٠ .

(١٦٤) الفاسي ، **شفاء الغرام** ، جـ٢، ص ٢٥٤ .

(١٦٥) الفاسي ، **العقد الثمين** ، جـ١، ص ١٩٨ .

(١٦٦) المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ١٢٨ .

(١٦٧) هو : أحمد بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي الحسني المكي . (انظر : ترجمة موسعة له في للفاسي، **العقد الثمين** جـ٣، ص ٨٧-٩٦).

(١٦٨) المقريزي ، **السلوك** ، ٣/١، ٢٤٥؛ ابن فهد ، **اتحاف الورى** ، جـ٣، ص ٣٣١-٣٣٢؛ الجزيري جـ١، ص ٣١٢ ابن حجر، **إنباء الغمر بأبناء العمر** (بيروت: دار الكتب العلمية) جـ١، ص٢٧٣.

(١٦٩) انظر ص ٦ وما بعدها من هذا البحث .

(١٧٠) مؤلف مجهول، **تاريخ الدولة الرسولية**، ص٨٣ ، ٨٧؛ ابن فهد، **اتحاف الورى** ج٣، ص٤٠٨

(١٧١) الجزيري ، **الدرر الفرائد**، جـ١، ص ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩؛ ابن فهد، **اتحاف**،ج٣ص٢٢٢٠

(١٧٢) منها على سبيل المثال حملة الملك المجاهد لإخضاع وتأديب الأشراف الغوانم حكام "جازان" عندما تعرّضوا للحاج فزادوا عليه المكس وسبقت الإشارة لذلك، الديبع، **الفضل المزيد** ، ص ١٠٥-١٠٦ .

(١٧٣) على سبيل المثال : أُرسلت حملة لتأديب الأشراف بني علي الذرويين في المخلاف عندما عدو على الحامية المرابطة في "الراحة" ، بالقرب من بيش. الخزرجي ، **العسجد المسبوك** ص ٣١٠ ؛ إدريس ، **كنز الأخيار**، ص ١٢٧) . كما شن الأشرف اسماعيل حملات على بعض القبائل اليمنية داخل اليمن كانت تقطع الطريق. الخزرجي،**العسجد المسبوك** ، ص ٥٠٣ .

(١٧٤) كانت العلاقات تسوء أحياناً بين المماليك في مصر وسلاطين بني رسول نتيجة محاولات بني رسول فرض سلطانهم على مكة ، والقيام بشئون الحرم والكعبة من كسوة وغيرها. انظر التفصيلات في ، **إحياء الخلافة العباسيّة** ، محمد عبدالعال أحمد، ص ٦٦ وما بعدها.

(١٧٥) منها الحاميات التي أرسلت لعمارة "البرك" والمرابطة فيه، وحامية أخرى كانت مرابطة في "الراحة" في بلاد المخلاف السليماني. انظر: التفصيلات في ادريس، **كنز الأخيار** ص ١٣٣ ؛الديبع ، **قرة العيون** ، ص ٣١٢-٣١٣ ؛اليميني، والفضل المزيد، ص ٩٠ ؛ابن عبدالمجيد، **بهجة الزمن** ، ص ٢٣٠).

(١٧٦) الحبشي عبدالله ، **الصوفية والفقهاء في اليمن** (صنعاء : مكتبة الجيل الجديد ، ١٣٩٦/١٩٧٦م) ص ١٣، ٢٤ وغيرها .

(١٧٧) الحبشي، **المرجع نفسه** ، ص ٤٥.

(١٧٨) أول ما تولّى القضاء من فقهاء الصوفية في اليمن الفقيه الصوفي : إسماعيل بن محمد الحضرمي المتوفى سنة ٦٩٦هـ . الشرجي ، **طبقات الخواص** ، ص ٣٤ . كما تولّى أحد بني عجيل رئاسة القضاء في اليمن في عهد الأشرف إسماعيل الثاني.

(١٧٩) ذكر الشرجي وغيره أن الناس في الحرمين الشريفين ، كانوا يتزاحمون على تقبيل يد الفقيه ابن عجيل ، والتبرك به ، كلما رأوه داخلاً إلى المسجدين ، بل كانوا ينصرفون إليه ويتركون ما هم فيه من الطواف والصلاة " انظر ،الشرجي، **طبقات الخواص** ، ص ٦٠-٦٢، وهذا العمل من المبالغة التي لا تجوز؛ وانظر أيضاً: ابن بطوطة، **الرحلة**، جـ١ ص٧٤.

(١٨٠) الشرجي، **طبقات الخواص**، ص ١٩٩؛ الجندي، **السلوك في طبقات العلماء والملوك**، ترجمة أحمد بن موسى عجيل ، جـ١، ص ٤١٣.

(١٨١) الشرجي، طبقات الخواص ، ص ٦٠.

(١٨٢) الشرجي، المصدر نفسه، ص٦٢ .

(١٨٣) الضمدي النعمان ، **العقيق اليماني** (مخطوط) ورقة ٨ ، ٥٧.

(١٨٤) الأهدل. **تحفة الزمن في تاريخ سادات المين** ، تحقيق : عبدالله الحبشي (أبو ظبي المجمع الثقافي) جـ٢ ، ص ٢٩٧.

(١٨٥) الأهدل، **المصدر نفسه** ، جـ٢، ص ٢٨٧ ؛الجندي، **السلوك**، جـ٢ ، ص ٣٧٢.

(١٨٦) الشرجي: **طبقات الخواص** ، ص ٣١٣.

(١٨٧) الضمدي: **العقيق اليماني** (مخطوط) ورقة : ٥٩، ١٣٢.

(١٨٨) الأهدل، **تحفة الزمن**،جـ٢، ص ٢٩٥؛ الجندي، **السلوك**، جـ٢، ص ٣٧١؛ الشرجي، **طبقات الخواص**، ص ١٩٩ مثلاً.

(١٨٩) ابن فهد، **اتحاف الورى**، جـ٣، ص ٥١٩.

(١٩٠) انظر: ابن فهد ، **اتحاف الورى**، جـ٣ ، ص ٥٩٥ ؛الفاسي، **العقد الثمين**: جـ١ص٢٠٣ ، جـ٤ ص ١٤٧ ؛ الفاسي ، **شفاء الغرام** ، جـ٢ ص ٢٥٩ .

(١٩١) الضمدي، **العقيق اليماني** (مخطوط) ورقة ٢٤٢ ؛ باشا ، **مرآة الحرمين** (د . م ، د . ت) جـ٢، ص ٣٠٥ وما بعدها؛ الوزير، عبدالله بن علي، **تاريخ اليمن، المسمى (طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى)** تحقيق : محمد عبدالرحيم جازم ط١ (بيروت: دار المسيرة - ١٤٠٥هـ /١٩٨٥م) ص :١٢١، ٢٨١، ٢٨٢).